

نظم

أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني

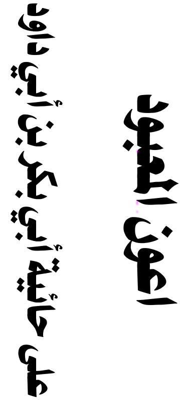
تأليف :

أبي محمد عبد الحميد الحجوري الزعكري

اعون المعبود

على حاشية أبي بكر بن أبي داود







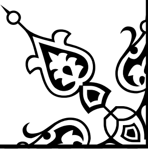
الطبعة الثانية

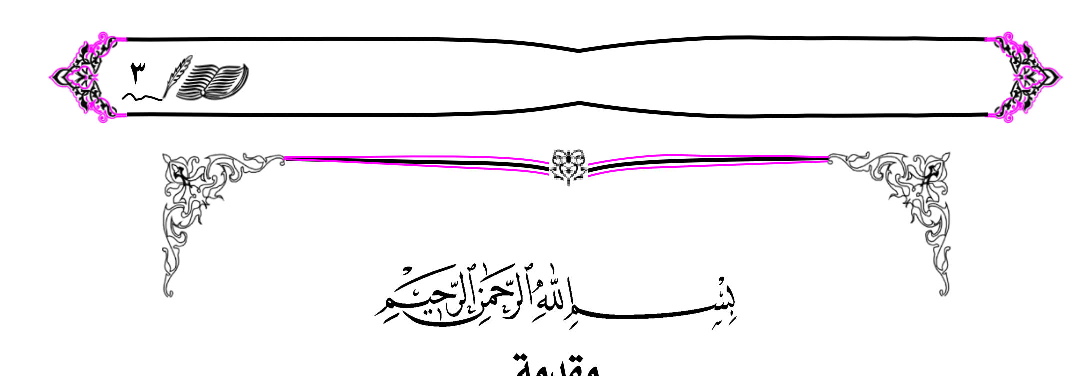
١٤٣٩ هـ

دار كنوز الإسلام

اليمن- حضرموت- سيئون- واتس/٧١٦٥١٢٤٠٨







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الرحمن أنزل القرآن خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة، والسلام علىٰ محمد خير الأنام الذي بين التوحيد، والإيمان، ورغّب في العلم، والإحسان ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له الملك المنان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذا شرح مختصر لمنظومة أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني رحمه الله في السنة؛ وهي المعروفة بحائية ابن أبي داود، كنت قد حفظتها قديمًا؛ وكانت لي رغبة في شرحها، والتعليق عليها لإفادة نفسي أولًا ثم لإفادة غيري من المسلمين فكثرت المشاغل وضاقت الأوقات وقلت البركات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم يسر الله عز وجل بخروجي دعوة إلىٰ بلاد الجزائر حرسها الله بالتوحيد، فشرحتها شرحًا مختصرًا توضيحًا لها وتتميمًا لفوائدها، فقام أخونا الفاضل أبوبكر نبيل الدروبي بتفريغها، فهذبتها وزدت عليها ما احتاج الحال إليه، حتىٰ خرجت في هذه الحلة التي بين يديك.

فَــإِنْ تَجِــدْ عَيْبًــا فَسُــدَّ الْخَلَــلَا   قَدْ جَلَّ مَــنْ لَا عَيْــبَ فِيــهِ وَعَــلَا

وما كان من قصور في بعض أبوابها فستجده بأوضح بيان، إن شاء الله تعالىٰ في كتابي "فتح الباري علىٰ شرح السنة للإمام البربهاري"، وفي كتابي "شرح أصول

السنة لابن أبي زمنين"، وكتابي "سلامة الخلف في طريقة السلف"، وإني لأعتبر خدمة كتب وعقائد السلف من أفضل القربات؛ حيث وهي كتب علم وبيان لطريق الإسلام العظيم، وحبل الله المتين، وكتب ردود على أهل الباطل من الكافرين وغيرهم من المبتدعين الضالين، وقد رفع الله قدرهم بالعلم والعمل والدعوة إلى الله ﷻ. فالله المسئول أن ينفع بهذا الشرح الذي أسميته "عون المعبود على حائية أبي بكر بن أبي داود"، كما نفع بأصله وأسأله أن يغفر لي ولوالديّ ولمشايخي ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

متن حائية ابن أبي داود

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِع الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا ... بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصَحُوا

وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أتْبَاعٌ لجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقًا قَرَأْتُهُ ... فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً ... كَمَا البَدْرُ لا يَخْفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بمْولُودٍ ولَيسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذَا وعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقَالِ مُحمَّدٍ ... فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ في كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلا كَيْفَ جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ

إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتحُ

يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمنِحٌ خَيْرًا ورِزقًا فأُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم ... ألا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبوهُم وقُبِّحُوا

وَقُلْ إنَّ خَيرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيراهُ قُدْمًا، ثُمَّ عُثْمَانُ أرْجَحُ

وَرابِعُهُــم خَــيْرُ البريَّـــةِ بَعْــدَهُم عَــلِيٌّ حَليــفُ الخَـيرِ، بــالخَيرِ مُـنْجِحُ
وإنَّهـــمُ والـــرَّهْطُ لا رَيْـــبَ فِـــيْهِمُ عَلَى نُجُــبِ الفِـــرْدَوْسِ فِي الخُـــلْدِ تَـــسْرَحُ
سَـعِيدٌ وسَـعْدٌ وابــنُ عَــوْفٍ وطَلْحــةٌ وعَامِـــرُ فِهْـــرٍ والــزُّبَيْرُ المُمَـــدَّحُ
وَعَائِـــشُ أُمِّ المُـــؤْمِنِينَ وَخَالُنـــا مُعَاوِيَـــةُ أَكْـرِمْ بِـــهِ فَهْـــوَ مُصـــلحُ
وَأَنْصـــارُه وَالهَـــاجِرونَ دِيـــارَهم بنـــصرهُمُ عَـــنْ ظلمـــةِ النَّـــارِ زحزحُـــوا
وَمَـــنْ بعـــدَهُم وَالتـــابِعُون بِحُســـنِ مَـــا حَـــذو حَـــذوهم قَـــولًا وَفِعـــلًا فَـــأفْلحوا
وَقُـــلْ خَـــيْرَ قـــولٍ فِي الصَّـــحَابَةِ كُلِّهِـــمْ ولا تَـــكُ طَعَّانًـــا تَعِيْـــبُ وَتَجْـــرَحُ
فَقَـــدْ نَطَـــقَ الـــوَحْيُ المُبـــينُ بِفَضْـــلِهِمْ وفي الفَـــتْحِ آيٌ في الصَّـــحابةِ تَمْـــدَحُ
وبِالقَـــدَرِ المقْـــدُورِ أيْقِـــنْ فإنَّـــهُ دِعَامَـــةُ عقْـــدِ الدِّيـــنِ والدِّيـــنُ أفْـــيَحُ
وَلا تُنْكِـــرَنْ جَهـــلًا نَكِـــيرًا ومُنْكَـــرًا وَلا الحَـــوضَ والمِـــيزانَ إنَّـــكَ تُنْصَـــحُ
وقُـــلْ يُخْـــرِجُ اللهُ العَظِـــيمُ بِفَضْـــلِهِ مِـــن النـــارِ أجْســـادًا مِـــن الفَحْـــمِ تُطْـــرَحُ
عَلَى النَّهـــرِ في الفِـــردوسِ تَحْيـــا بِمَائِـــهِ كَحَـــبِّ حَمِيـــلِ السَّـــيْلِ إذْ جَـــاءَ يَطْفَـــحُ
فـــإنَّ رَسُـــولَ اللهِ للخَلْـــقِ شَـــافِعٌ وقُـــلْ فِي عَـــذابِ القَـــبرِ حـــقٌّ مُوَضَّـــحُ
ولا تُكْفِـــرَنْ أهْـــلَ الصَّـــلاةِ وإنْ عَصَـــوا فكلُّهُـــمُ يَـــعْصِي وذُو العَـــرْشِ يَصْـــفَحُ
ولا تَعتقِـــدْ رَأْيَ الخَـــوارجِ إنَّـــهُ مَقَـــالٌ لِمَـــنْ يهـــواهُ يُـــرْدِي ويَفْضَـــحُ
ولا تَـــكُ مُرْجِيًّـــا لَعُوبًـــا بِدِينِـــهِ ألا إنَّمَـــا المُـــرْجيُّ بـــالدِّينِ يَمْـــزَحُ
وقُـــلْ إنَّمـــا الإيمـــانُ قَـــوْلٌ ونيَّـــةٌ وِفعْـــلٌ عَلَى قَـــولِ النـــبيِّ مُـــصَرَّحُ
ويَـــنْقُصُ طَـــوْرًا بالمَعَـــاصِي وَتَـــارةً بطَاعَتِـــهِ يَـــنْمِي وفي الـــوَزْنِ يَـــرْجَحُ

وَدَعْ عنــــكَ آراءَ الرِّجــــالِ وَقــــولَهُم ... فَقَــــــولُ رَسُــــــولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ

وَلا تَــكُ مِــن قــوْمٍ تَلَهَّــوْ بِــدِينِهِم ... فَــتَطْعنَ في أَهَــلِ الحَــدَيثِ وتَقْــدَحُ

إذا مَـا اعتقـدْتَ الدَّهْـرَ يـا صَـاحِ هـذِه ... فَأَنْــتَ عَلى خَــيْرٍ تَبِيــتُ وتُصْــبحُ

تم النظم والحمد لله



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله، وصحبه، ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد: فإن من وسائل تحصيل العلم، وبثّه نظم العقائد والفنون من أجل سهولة الحفظ، وتقريب العلوم وبيان ما عليه العالم في هذا الباب لأن الشعر محبوب إلىٰ النفوس لسلاسته ولطافة عبارته.

ومن العقائد السلفية المنظومة حائية ابن أبي داود. وهُوَ أَبُوبَكْرٍ عَبْدُالله بنُ سُلَيْمَانَ بنِ الأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ الإِمَامُ، العَلَّامَةُ، الحَافِظُ، شَيْخُ بَغْدَادَ، أَبُوبَكْرٍ السِّجِسْتَانِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ.

وُلِدَ بِسِجِسْتَانَ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِيْنَ وَمائَتَيْنِ.

وَسَافَرَ بِهِ أَبُوْهُ وَهُوَ صَبِيٌّ، فَكَانَ يَقُوْلُ: رَأَيْتُ جَنَازَةَ إِسْحَاقَ بنِ رَاهْوَيْه.

وَكَانَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِيْنَ وَمائَتَيْنِ، فِي شَعْبَانَ، فَأَوَّلُ شَيْخٍ سَمِعَ مِنْهُ: مُحَمَّدُ بنُ أَسْلَمَ الطُّوْسِيُّ، وَسُرَّ أَبُوْهُ بِذَلِكَ لِجَلَالَةِ مُحَمَّدِ بنِ أَسْلَمَ.

رَوَىٰ عَنْ: أَبِيْهِ، وَعَمِّهِ، وَعِيْسَىٰ بنِ حَمَّادٍ زُغْبَةَ، وَأَحْمَدَ بنِ صَالِحٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ يَحْيَىٰ الزِّمَّانِيِّ، وَأَبِي الطَّاهِرِ بنِ السَّرْحِ، وَعَلِيِّ بنِ خَشْرَمٍ، وَمُحَمَّدِ بنِ بَشَّارٍ، وَنَصْرِ بنِ عَلِيٍّ، وخَلْقٍ كَثَيْرٍ بِخُرَاسَانَ وَالحِجَازِ وَالعِرَاقِ، وَمِصْرَ وَالشَّامِ، وَأَصْبَهَانَ وَفَارِسَ.

وَكَانَ مِنْ بُحُوْرِ العِلْمِ، بِحَيْثُ إِنَّ بَعْضَهُم فَضَّلَهُ عَلَىٰ أَبِيْهِ.

صَنَّفَ (السُّنَنَ)، وَ(المَصَاحِفَ)، وَ(شَرِيْعَةَ المَقَارِئ)، وَ(النَّاسِخَ وَالمَنْسُوْخ)، وَ(البَعْثَ) وَأَشْيَاء.

حَدَّثَ عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيْرٌ، مِنْهُم: ابْنُ حِبَّانَ، وَأَبُو أَحْمَدَ الحَاكِمُ، وَأَبُو عُمَرَ بنُ حَيَّوَيْه، وَابْنُ المُظَفَّرِ، وَأَبُو حَفْصٍ بنُ شَاهِيْنٍ، وَأَبُو الحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ، وَعِيْسَى بنُ عَلِيٍّ الوَزِيْرُ، وَابْنُ المُقْرِئ، وَأَبُو القَاسِمِ بنُ حَبَابَةَ، وَأَبُو طَاهِرٍ المُخَلِّصُ، وَمُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ زُنْبُوْر الوَرَّاقُ، وَأَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الكَاتِبُ، وَآخَرُوْنَ.

وَكَانَ يَقُوْلُ: دَخَلْتُ الكُوْفَةَ وَمَعِيَ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ، فَأَخَذْتُ بِهِ ثَلاَثِيْنَ مُدَّ بَاقِلَّا، فَكُنْتُ آكُلُ مِنْهُ، وَأَكْتُبُ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الأَشَجِّ، فَمَا فَرَغَ البَاقِلَّا حَتَّى كَتَبْتُ عَنْهُ ثَلاَثِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ، مَا بَيْنَ مَقْطُوعٍ وَمُرْسَلٍ.

قَالَ الحَاكِمُ أَبُوعَبْدِالله: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الحَافِظَ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي دَاوُدَ، يَقُوْلُ:

حَدَّثْتُ مِنْ حِفْظِي بِأَصْبَهَانَ بِستَّةٍ وَثَلاَثِيْنَ أَلْفًا، أَلْزَمُونِي الوَهْمَ فِيْهَا فِي سَبْعَةِ أَحَادِيْثَ، فَلَمَّا انصَرَفْتُ، وَجَدْتُ فِي كِتَابِي خَمْسَةً مِنْهَا عَلَى مَا كُنْتُ حَدَّثْتُهُم بِهِ.

كذبه أبوه ودافع عنه العلماء بما حاصله أنّ هذا التكذيب لا يقبل وبالله التوفيق.

قَالَ ابْنُهُ عَبْدُالأَعْلَى: تُوُفِّيَ أَبِي وَلَهُ سِتٌّ وَثَمَانُوْنَ سَنَةً وَأَشْهُرٌ. اهـ من ترجمته في [[سير أعلام النبلاء]] (١٣/ ٢٢٢) وما بعدها.

ومن هذه المنظومات الكافية الشافية لابن قيم الجوزية، واللامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، والسَّفّارينية، وسُلَّم الوصول، وكم من العقائد المنظومة والمنثورة، وكلٌ يسعى في تقريب العلوم للمسلمين على حسب اجتهاده.

وهذه الحائية التي نظمها الإمام أبوبكر، هي بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة، وقد تناقلها العلماء، وشرحوها، وحفظوها، واستدلوا بأبيات منها، في نبذ التقليد والحث على متابعة الدليل، وهذه القصيدة بعينها مذكورة في آخر كتاب الشريعة للآجري رَحِمَهُ اللَّهُ، ختم بها كتابه؛ لأن ناظمها كما قال: صار على معتقد أهل السنة والجماعة، وكانوا ينتسبون لبيان صفاء معتقدهم، وسلامة منهجهم إلى الإمام المبجل: أحمد بن محمد بن حنبل لأنه أُبتليَّ فصبر، وصدع بالحق في وقت سكت الناسُ خوفًا من الدولة، والمبتدعة، أو موافقة في باطلهم بسبب طمعٍ دنيوي، أو خوف من سطوتهم.

الحث على التمسك بالكتاب والسنة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التي أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

افتتح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حائيته، بالدعوة إلىٰ ما أمر الله به، من الاعتصام بكتاب الله، والأخذ بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[الأعراف:١٧٠]، فجعل الله تعالىٰ التمسك بالحق، والهدىٰ إحسان وإصلاح وفعلًا إنه إحسان فيما بين العبد وبين الله بتوحيده وطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واتباع سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وإصلاح للحال والمآل.

وحبل الله هو القرآن كما في حديث زيد بن أرقم عند مسلم وغيره: «**أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**». فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». وفي بعض الروايات: «**وعترتي**» وليس معنىٰ ذلك ما ذهب إليه الرافضة -الشيعة-، من التعظيم غير الشرعي لآل البيت، وإنما المراد: تمسكوا بكتاب الله وبسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، واعرفوا لأهل البيت الصالحين قدرهم ومنزلتهم علىٰ ما يأتي بيانه. وفي بيان حبل الله قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنِّى تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ**

تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ». وفي رواية: «**كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ**».

شاهدنا: ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فمن أخذ به نجا، ومن تركه ضل وغوى**) فالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما هو حبل الله المتين الذي لا ينقطع، والذي يوصل إلى مرضاة رب العالمين، ويوصل إلى جنة النعيم، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[آل عمران:١٠١]، وقال ﷻ: ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[آل عمران:١٠٣].

فالتمسك بالكتاب والسنة فيهما النجاة، ولهذا نقل الزهري عن علمائه، ومنهم الصحابة: أدركت كثيرًا من علمائنا يقولون: التمسك بالسنة نجاة. أخرجه الدارمي في مقدمة سننه وفعلًا نجاة في الدنيا من البدع وفي الآخرة من العذاب نسأل الله العون والسداد.

ويدل على أهمية التمسك بالكتاب، والسنة: ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث العرباض بن سارية،: صلى بنا رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ، ثمّ أقبل علينا بوجهه، فوعَظَنا موعِظةً بَليغةً، ذَرَفتْ منها العيون، ووَجِلت منها القلوبُ، فقالَ رجل: يا رسولَ الله، كأنَّ هذه موعظةُ مودِّع، فماذا تَعْهدُ إلينا؟ قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ،**

تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

والأدلة في الأمر بالتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ كثيرة ومتواترة، منشورة ومبثوثة في المختصرات والمطولات، فأقرب المراجع: كتاب رياض الصالحين، وقد بوب الإمام النووي باب لزوم السنة، وكتاب الاعتصام من صحيح البخاري، وكتاب العلم من صحيح مسلم، وكتاب الشريعة للآجري، وكتاب السنة لابن أبي عاصم، والسنة لعبدالله بن أحمد وغير ذلك من الكتب المصنفة والمؤلفة الحاثة على إتباع سنة رسول الله ﷺ التي بها النجاة وفي حديث عبدالله بن عمرو: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**».

فإن تمسكت بحبل الله ﷻ، واعتصمت به كنت من المهتدين، المهدين، وكنت من أهل البر والصلاح الذين وصفوا بقول الله: ﴿**لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ**﴾[البقرة:١٧٧].

وقال تعالى مبينًا صفات المؤمنين، المتمسكين، المهتدين: ﴿**الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾[البقرة:١-٥] وفي هذا بيان على أن مصدر التشريع عند أهل السنة الكتاب والسنة والإجماع وتقدمت الأدلة على الكتاب والسنة وإمام

الإجماع فدليله قوله تعالىٰ ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٥].

والبحث عن طريق الهداية أمر مطلوب، ومرغب فيه، ومن بحث عن شيء حصل عليه، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ المَوْتُ قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْصِنَا، قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَقَالَ: إِنَّ العِلمَ وَالإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنِ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالْتَمِسُوا العِلمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ، عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلمَانَ الفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ وَعِنْدَ عَبْدِالله بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الجَنَّةِ**». وَفِي البَابِ عَنْ سَعْدٍ. وهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

ومن سار علىٰ الدرب وصل، وقد أمر الله ﷻ بسؤاله الهداية حيث شرع لنا في الصلاة أن نقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، وسؤال الله الهداية، من أعظم وسائل الثبات، ولأهمية هذا السؤال أمر الله به أن يتلىٰ في كل ركعة من الركعات، فإذ لم يأتِ المرء بهذا السؤال العظيم فصلاته باطلة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

والصراط: هو الطريق الموصل إلىٰ الله، وهو الإسلام، سبيل الموحدين، السبيل الذي يناقض ما عليه اليهود (المغضوب عليهم) تركوا العمل بالعلم فغضب الله عليهم، والنصارىٰ (الضالون) عملوا بغير علم فضلوا فمن علم ولم يعمل من هذه الأمة ففيه شبه باليهود ومن عمل ولم يعلم ففيه شبه بالنصارىٰ والضلال من أسباب غضب الله علىٰ العبد والغضب من لوازمه الضلال ولاحول لاقوة إلا بالله.

قوله: (**واتَّبِع الهُدَى**) حث رحمه الله على الإتباع وهذه طريقة السلف فعمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، وسفيان يقول: (وجدنا الأمر كله في الإتباع) والإتباع هو سبيل المؤمنين: ﴿**ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾[الأعراف:٣]، وقال تعالى: ﴿**قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾[آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ**﴾[الأعراف: ١٥٨] فالأخذ بالدليل يسمى اتباعًا والتقليد ضده وهو قبول أقوال العلماء مجردة عن الأدلة حتى قيل:

تَقْلِيــدُنَا قَبُــولُ قَــوْلِ الْقَائِــلِ   مِــنْ غَــيْرِ ذِكْــرِ حُجَّــةٍ لِلسَّــائِلِ

والاتباع دين المؤمنين والتقليد دين الكافرين قال الله عز وجل لنبيه ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ**﴾[الأنعام: ٩٠] وقال عز وجل في شأن الكافرين ﴿**وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ**﴾[الزخرف: ٢٢].

قوله رحمه الله: (**ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ**) البدعة: هي الدين الذي لم يأذن الله به. فمن عمل عملًا يريد التقرب به إلى الله عز وجل ولم يأذن الله به فهو بدعة، وقد تقدم الحديث: «**كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». وكم من الذين يتعاطون البدع وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا وهم مسيئون من جهة أنهم شرعوا ما لم يشرعه الله عز وجل، وهو يقول: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[الشورى:٢١] ومن جهة أن لازم صنيعهم هذا أن الدين ناقص وهم الذين أكملوه بهذه البدعة، مع أن الله يقول: ﴿**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ**﴾[المائدة: ٣]. واعلم أن البدعة أخطر من المعصية؛

لأن العاصي في الغالب يتوب، ويعلم أنه عاصي مخالف لشرع الله تعالىٰ، والمبتدع قد لا يوفق للتوبة؛ لأنه يحسب أنه يحسن صنعًا، قال تعالىٰ: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

فالبدعة ضلال، والسنة فلاح؛ لما تقدم من الأدلة. والبدعة هلاك: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، هكذا يقول النبي ﷺ كما في مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ. وفي الحديث السابق: «**وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**» أي: من كانت فترته إلىٰ البدعة فقد هلك، وضل وغوىٰ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» كما تقدم في حديث العرباض.

والفلاح ضد الهلاك، ومن أسبابه المصابرة علىٰ هذا الدين، والأخذ به وتعلمه والعمل به: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[آل عمران:٢٠٠]، ومن أسبابه سلوك سبيل الهداية، كما تقدمت آيات سورة البقرة، ومن أسبابه ما ذكره الله في أوائل سورة المؤمنون: ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ (٢) وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ**﴾[المؤمنون:١-٧]، الآيات ومعها الأخذ بالدين الحق كما صح عن رسول الله ﷺ قد افلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما أتاه. أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو.

قوله ؒ: (**وَدِنْ بِكِتَابِ الله والسُّنَنِ التِي**) أي اعمل، قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾[التوبة: ٣٣] أي: بالعلم النافع والعمل

الصالح، وليكن ديدنك وديدنك الأخذ بالكتاب والسنة، والرسول ﷺ كما في حديث زيد بن أرقم، ترك فينا الكتاب والسنة، ومن أخذ بالكتاب والسنة رشد، (فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ) أخرجه مسلم. ومن أخذ بالكتاب والسنة قاداه إلى الجنة، فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامًا قَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ**». ومن أخذ بالكتاب والسنة سلم من الزيغ، ومن الانحراف، ومما يضاد المنهج السلفي؛ لأن الكتاب والسنة معصومان عن الزلل، ومحفوظان من التحريف والتغيير، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩].

والسنة: هي الطريقة في الخير أو الشر، قال الشاعر:

وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا

أي: طريقتها، لكن عند الإطلاق يُراد بها طريقة رسول الله ﷺ والسنة السيئة ليست من الدين: ففي حديث جرير عند مسلم «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

قوله: (**أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ**) أي أن الطريقة التي يجب عليك أخذها هي التي صحت عن رسول الله ﷺ وقلت صحت لأن المنقول عن النبي ﷺ منه الموضوع ومنه الأحاديث ضعيفة والواجب علينا الأخذ بما صَح عن النبي ﷺ اعتقادًا أو عملًا والسنة في عرف المحدثين واصطلاحهم غير السنة في عرف الفقهاء

واصطلاحهم، فإن السنة عند الفقهاء هي المندوب الذي يثاب فاعله امتثالًا ولا يستحق العقاب تاركه، بينما أهل الحديث: يطلقون السنة على أعم من ذلك: فهي طريقة النبي ﷺ في اعتقاده وأفعاله، وأقواله، فمن لزم طريقة النبي ﷺ فهو على سنة وهدى، ومن خالف ذلك فهو من أصحاب الزيغ والردى، ويدخل في السنة في المعنى الاصطلاحي عند المحدثين: كل معتقدات الدين وكل أوامره، وكل النواهي، ولهذا صنفت كتب السنة مثل: كتاب السنة لابن أبي عاصم، وكتاب السنة للإمام عبدالله بن أحمد، والسنة للخلال، ويذكرون فيها: الاعتقادات فإذا أخذت بالسنة نجوت من البدعة ونجوت من سخط الله وعذابه وقد تقدم قول الزهري: (أدركت كثيرًا من علمائنا يقولون: التمسك بالسنة نجاة). وهم ناجون أيضًا من مكر اعدائهم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾. وهم ناجون من التخذيل من الداخل، فعن معاوية ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**» متفق عليه، وقد صح عن جمع من الصحابة، منهم: ثوبان والمغيره وجابر ﵃.

فتلخص لنا فيما تقدم الحث على السنة والتمسك بها، والبعد عن البدعة والنهي عنها؛ لأن الفلاح في السنن، والعطب في البدع، والسبيل إلى الفلاح هو الأخذ بالكتاب والسنة، ولهذا قال: (ودن بكتاب الله والسنن التي..) إذا أردت أن تفلح فدن بكتاب الله، اجعله دينًا، واجعله بغيتك وقائدك، فالرسول ﷺ قال: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا**

مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ». أخرجه أحمد عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

ورضي الله عن حذيفة إذ يقول: (من قال بالقرآن أفلج) فإذا استدللت بالقرآن، والحديث، تخصم كل من خالفك، قال ابن عبد البر: (من قال بالقرآن قويت حجته)، وقال بعضهم: (من حفظ الحديث أفلج) أي فلج خصمه؛ كما قال الله: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الإسراء:٨١]، وكما قيل: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وما سُمي أهل السنة بهذا الاسم إلا لأخذهم بالكتاب والسنة، ومن أسمائهم أهل الحديث لأخذهم بحديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن أسمائهم أهل الأثر لتقديمهم آثار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وطريقة أصحابه في فهمها على الرأي والأقيسة الفاسدة ومن أسمائهم السلفيون لأخذهم لطريقة السلف رضوان الله عليهم فتسميتهم بهذه الاسماء ثابتة لهم لفظًا ومعنىٰ وسمي أهل الكلام بهذا الاسم لبعدهم عن الكتاب والسنة، وأخذهم بكلام الرجال المجرد عن الأدلة المخالف لها، وسمي أهل البدع بهذا الاسم، لتركهم السنن وأخذهم بالمحدثات، وسمي أهل الرأي بهذا الاسم: لتركهم السنن وأخذهم بآراء الرجال.



القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُــلْ غَــيْرُ مَخْلُـوقٍ كَلامُ مَليكِنـا بِــذَلكَ دَانَ الأَتْقِيــاءُ وأَفْصَــحُوا

بعد هذه المقدمة شرع رَحِمَهُ اللهُ في بيان معتقد أهل السنة، والجماعة، في أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود (منه بدأ) يدل عليه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[فصلت:٢]، إليه يعود: يدل عليه حديث حذيفة قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى صِيَامٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسُكٌ وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ يَقُولُ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَنَحْنُ نَقُولُهَا**» قَالَ لَهُ صِلَةُ: فَمَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ صياماً، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَا نُسُكًا، فأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، ثُمَّ قَالَ: يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ. أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٠٤٩).

وأهل البدع حين قالوا كلام الله مخلوق أرادو أن يتوصلوا إلى أن أسماء الله وصفاته مخلوقة وأنها مجاز ومعنى ذلك أنه تعالى لا صفات له تعالى.

ومعنى كلامه رَحِمَهُ اللهُ: قل أيها السني كلام الله عَزَّ وَجَلَّ غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهذا هو المعتقد الصحيح، في أن الله عَزَّ وَجَلَّ يتكلم متى شاء وكيف شاء بما شاء، ويتكلم بحرف وصوت، والدليل على الحرف قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾، ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾، والكلام



يتكون من حروف، وكلمات، والدليل على الصوت: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾[مريم:٥٢]، والنداء يكون بصوت مرتفع، والمناجاة تكون بصوت خافت، وفي حديث أبي سعيد ﵁ عند البخاري قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أُرَاهُ، قَالَ: تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**». فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا**». أخرج مسلم بعضه.

وعَنْ عَبْدِالله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِالله يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبْدُالله بْنُ أُنَيْسٍ، فَقَالَ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِالله؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ، عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبٍ، أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**

حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ»، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «**بِالحَسنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**». الحديث علقه البخاري في صحيحه وأخرجه أحمد وغيره وفيه عبدالله بن محمد بن عقيل ضعيف ويُحسن له البخاري وغيره ولمعنىٰ الحديث شواهد تدل عليه.

فهذا معتقد أهل السنة: أن الله يتكلم متىٰ شاء وكيف شاء، وأن الله ﷻ يتصف بهذه الصفة حقيقة، وأن إثبات صفة الكلام لا يستلزم نقصًا بل هي كمال، وكل كمال ثبت للمخلوق، ويجوز لله أن يتصف به فالله أولىٰ به، ولهذا عيّر إبراهيم عليه السلام أباه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾[مريم:٤٢]، وعير قومه وقال: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[الأنبياء:٦٣-٦٧]، والذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ناقص، مخلوق مربوب بينما الله ﷻ له الصفات العلا، ومما يدل علىٰ إثبات هذه الصفة قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤]، فأكدها بالمصدر ليدل علىٰ حقيقته ويرفع دعوىٰ المجاز وقوله: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، وقوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾[آل عمران:٥٥]، في آيات كثيرات بينات منها قوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الأنعام:١١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[الكهف:١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[لقمان:٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢]. فالمخلوقات توجد بأمره وهو كلامه ولو كان الكلام مخلوق للزمن أن يوجد بأمر آخر وللزمن التسلسل، وقد فرق الله بين الخلق والأمر، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾.

وصح عن النبي ﷺ أنه أمر وأن يستعاذ بكلمات الله التامات كما في مسلم عن أبي هريرة، وعن خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»، وفي المسند عن أَبِي التَّيَّاحِ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَنْبَشٍ، كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ قَالَ: جَاءَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَتَحَدَّرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجِبَالِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: فَرُعِبَ، قَالَ جَعْفَرٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: جَعَلَ يَتَأَخَّرُ، قَالَ وَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ، قَال: «**مَا أَقُولُ**»، قَالَ: قُلْ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ**» فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ ولو كانت الكلمات مخلوقة كما يقول الجهمية والمعتزلة، لما جاز الاستعاذة بالمخلوق، والنبي ﷺ معصوم من الشرك بل قد قال الله ﷻ له: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥].

ومن الأدلة أن كلام الله صفة له أن الكلام معنىً يقوم بغيره، ما يقال رأيت كلام زيد يمشي في الشارع، أو رأيت كلام عمرو يسير في السيارة، هذا لا يعقل، فالكلام

يقوم بغيره، (فإضافة المعنىٰ الذي يقوم بغيره إلىٰ الله إضافة صفة إلىٰ موصوف) وهذه قاعدة مهمة جدًا من قواعد الأسماء والصفات، أي معنىً أضيف إلىٰ الله ﷻ تنظر إن كان مما يقوم بنفسه: بيت الله، ناقة الله، عبدالله، فإضافته إليه إضافة خلق، وملك، أو إضافة تشريف، وإن كانت معاني لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بغيرها فإضافتها إلىٰ الله إضافة صفة إلىٰ موصوف، كعين الله، وسمع الله، وبصر الله، ووجه الله، وكلام الله.. وهكذا.

والسلف قد كفّروا من يزعم أن كلام الله مخلوق، ونقل اللالكائي في أصول أهل السنة عن خمسمائة عالم تكفيرهم، ونظم هذا ابن القيم في نونيته فقال: ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

وَاللَّالَكَائِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْـ ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

والقرآن كلام الله الذي أنزله الله علىٰ محمد ﷺ.

والمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، وأحيانًا يقولون: القرآن كلام الله، ويريدون به مخلوق، ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يضيفون إلىٰ هذا المعتقد ما سُطِّر ودُوِّن في كتب أهل السنة: (والقرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود).

وجاء الأشاعرة وزعموا تلبيسًا منهم وإيهامًا: أن القرآن عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وهذا القول الذي قاله الأشاعرة مؤداه إلىٰ قول المعتزلة، كما بين ذلك ابن قدامة في حكاية المناظر التي تمت مع بعض الأشاعرة وفيه أن الأشاعرة لا يعتبرون القرآن المكتوب في المصاحف كلام الله، ولهذا عندهم وإن كان بعضهم لا يعترف بذلك ولا يشهره، لو أن إنسان امتهن مصحفًا متعمدًا ليس بكافر.

ويستدلون لقولهم الباطل علىٰ أن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه بقول الأخطل:

إِنَّ الْكَـلَامَ لَفِـي الْفُـؤَادِ وَإِنَّـمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَـلَىٰ الْفُـؤَادِ دَلِـيلًا

مع أنّ البيت آحاد وهم لا يقبلون خبر الآحاد في العقيدة،مع أنه من حديث رسول الله ﷺ، وفي "الصحيحين"، فكيف يردون حديث النبي ﷺ، الذي اتصل سنده، وعدلت رواته، وسلم من الشذوذ، والعلة ثم يعمدون إلىٰ هذا البيت الذي لاخطام له ولا زمام. ثم إن البيت قاله نصراني، ولو سلمنا بإسلامه فهو رجل مُوَلد ليس من شعراء العربية التي أقوالهم حجة في اللغة ومازالت عقيدته ملوثة بالتثليث وغيره من عقائد النصارىٰ زد علىٰ ذلك أن البيت ليس في ديوان الأخطل، مع أن البيت قد وجد بلفظ: (إن البيان لفي الفؤاد).

لكن أهل البدع إذا سمعوا: قال الله، قال رسوله، قالوا: هذا آحاد والآحاد لا تثبت به العقائد وكم هدموا بهذه البدعة من عقائد وأضاعوا من سنن وواجبات وهذه بدعة معتزلية وإلا فكل ماثبت وصح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فإنه من عند الله ﷻ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣-٤]، ولهم شبهة أخرىٰ وهي أن الأحاديث ظنية الدلالة وظاهرها غير مراد.

ولما كان القرآن متواترًا، بحسب اصطلاحهم قالوا: ظاهره غير مراد، وهكذا يلعبون بالأدلة فكيف يكون ظاهره غير مراد والله تعالىٰ أنزله للتدبر والتعقل والفهم إذ أنّ القول بأن ظاهره غير مراد يلزم منه أنّ القرآن كتاب تعمية لا هداية وهذا باطل شرعا وعقلا.

فإن قالوا: يلزم من إثبات الكلام إثبات اللسان والحبال الصوتية؟ نقول: هذا في كلام المخلوق، أما الله ﷻ فإنه يتكلم بما شاء وكيف شاء: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، ثم ألم يتكلم الحصا بين يديَّ النبي ﷺ كما في البخاري عن ابن مسعود، وعن جابر بن سمرة قال النبي ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**» أخرجه مسلم، ويقول الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[يس:٦٥]، هذا بيان مختصر لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

ومن شبه المبتدعة على أن القرآن مخلوق قول الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر:٦٢]، مع أنهم يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، رادين قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، قالوا: الله لا يخلق الشر، قلنا وإبليس من خلقه وهو رأس الشر وهم يأتون بهذه الشبه، وقالوا القرآن، داخل في عموم كل؟ قلنا لهم: وأفعال العباد لما أخرجتموها من عموم كل مع أن دخول أفعال العباد في عمومها اظهر وأوضح وهو المطابق للواقع.

والمراد بالآية عند أهل الحق والهدى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: كل شيء مخلوق، والدليل على أنّ كل يفيد العموم بحسبه قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾[الأحقاف:٢٥]، والمساكن أشياء، ومع ذلك ما دمرتها الريح، فـ(كل) تفيد العموم بحسبها أي تدمر كل شيء يقبل التدمير، وقول الله ﷻ: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾[النمل:٢٣] أي: مما يؤتاه الملوك؛ لأنها ما أوتيت ملك سليمان.

وذهب بشر المريسي -لعنه الله- إلىٰ أن القرآن مخلوق، قال: لأن الله قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف:٣]، قال و(جعل) بمعنىٰ خلق، قال له الكناني لما ناظره، أنت تقر بهذا وتعترف به؟ قال: نعم، فقال له: فماذا تقول في قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[الزخرف:١٩]، هل هو بمعنىٰ: خلقوا! ماذا تقول في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤] أي: لا تخلقوا الله؟! فما كان منه إلا أن انقطع.

فتبين من هذا أن كل دليل صحيح يستدل به أهل البدع علىٰ ضلالهم فإن في ذلك الدليل ما يبين ضلالهم.

ولهم شبه غير ذلك منها أن المراد يقول الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤] أي جَرَّحَ مع أن السياق والسباق لايدل علىٰ ذلك بل المراد بالكلام علىٰ حقيقته وأنه بحرف وصوت علىٰ ما تقدم وقد أكده بالمصدر تكليمًا فانتهىٰ دعوىٰ المجاز هنا.

وطلب أحدهم من أبي عمرو بن العلاء رحمه الله أن يقرأ: (وَكَلَّمَ اللهَ) بفتح لفظ الجلالة؛ ليكون معنىٰ الآية إن الله هو المُكَلَّم لا المُكَلِّم، فقال أبو عمرو: هب أني قرأتها لك كما تقول، فكيف تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]. أي: إن حرفت تلك لن تستطيع أن تحرف هذه؛ لأن الضمير يعود إلىٰ أقرب مذكور وهو الله ﷻ.

وفي هذا إشارة إلىٰ أن أسماء الله ﷻ وصفاته غير مخلوقة بل هي صفات أزليه أبدية قال تعالىٰ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣] وقد فسر رسول الله ﷺ هذه الآية كما عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**اللهُمَّ رَبَّ**

السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْس بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْس دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» برقم (٢٧١٣)،

والله ﷻ موصوف بما، وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكليف ولا تمثيل بل هو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقد كتبت بعض القواعد في هذا الباب في كتاب "ضوابط تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات" وكتاب "القواعد الحسان في أسماء وصفات الرحمن".

الوقف في القرآن

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلا تَــكُ فِي القُــرْآنِ بــالوَقْفِ قَــائِلًا   كَمَـا قَــالَ أتْبَــاعُ لِجَهْـمٍ وَأَسْــجَحُوا

نهىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ عن التوقف في القرآن وصورته أن يقول لا أدري القرآن مخلوق أو غير مخلوق أو أنه يقول أنا أقول القرآن كلام الله وأسكت عن بقية الكلام، وسبب التوقف أنه لما انتصر الحق، وزهق الباطل في فتنة القول بخلق القرآن، ظهر قوم يقولون: (القرآن كلام الله) ولا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، وهذا كلام موهم للحق، والباطل، فالمعتزلة يقولون: القرآن كلام الله، لكنه عندهم مخلوق، وليس من صفات الله عَزَّوَجَلَّ والإضافة عندهم إضافة تشريف، ومعتقد أهل السنة: أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، فحذر العلماء من الواقفة الذين يقولون: القرآن كلام الله ويتوقفون، فإن كان توقفهم صادرٌ عن الشك أهو مخلوق أم لا، أو التلبيس مع اعتقادهم أنه مخلوق فكلا الأمرين كفر والعياذ بالله تعالىٰ من الضلال، وإما أن يكون سببه الخوف من أهل البدع فلا يظهر معتقده الصحيح، وهذا لا يجوز إن كان يؤدي إلىٰ ضياع الحق بالكلية وقد هجر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ بسبب موقفه في هذا الباب.

والمرجع في هذا الباب هو معتقد الأتقياء الذين اعتقدوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وصرحوا بذلك، وخطبوا به علىٰ المنابر، وكتبوه في الدفاتر، ودونوه بالمحابر، وحذروا من خلافه، بينما أتباع جهم وهو الجهم بن صفوان السمرقندي رأس الضلال المنسوبة إليه الجهمية قتله سلم بن أحوز سنة

١١٩هـ، والذي تلقىٰ عقيدته من الجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري سنة ١١٨هـ فقال خالد ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم: حيث قال إن الله لم يكلم موسىٰ تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا.

وقوله: (أسجحوا) أي: مالوا إلىٰ هذا الأمر، وجعلوه دينهم، وكذلك أرادوا أن يوهموا الناس أنهم يقولون بالقول الحق وهم علىٰ الباطل تلبيسًا ومكرًا وهذه طريقة أهل البدع وكما قال البربهاري رحمه الله أهل البدع مثل العقارب يضعون رءوسهم في الرمال فإذا وجدوا فرصة لسعوا.

مسألة اللفظ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا تَقُـــلِ القُـــرآنُ خَلقًـــا قَرَأْتُـــهُ   فـــإنَّ كَلامَ اللهِ بـــاللفْظِ يُوضَـــحُ

هذه مسألة أخرىٰ يشير إليها الإمام، وهي مسألة (اللفظ بالقرآن): هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟

وهذه مسألة من المسائل المحدثة التي جاء بها أهل البدع بعد أن انتصر منهج أهل الحق في مسألة القرآن، وأنه كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فقال قوم (لفظي بالقرآن مخلوق) وقال قوم (لفظي بالقرآن غير مخلوق)؟ وهذا من الألفاظ المجملة، وأهل السنة عندهم قاعدة وهي: أن الألفاظ المجملة لا تثبت مطلقًا ولا تنفىٰ مطلقًا، بل يثبت الحق منها ويتوقف في لفظها وقد تكلم العلماء علىٰ أن سبب ضلال كثير من الطوائف في هذا الباب وغيره هو من جهة الإجمال.

لأن الألفاظ في هذا الباب ثلاثة فما أثبته الكتاب والسنة أثبتناه، وما نفاه الكتاب والسنة نفيناه، مع إثبات كمال ضده وما تنازع فيه المتأخرون مما لم يرد في الكتاب، والسنة توقفنا في لفظه، واستفصلنا في معناه، فإن كان باطلًا رُد، وإن كان حقًا قُبل مع استخدامنا للألفاظ الشرعية.

فقوله: (لفظي بالقرآن مخلوق)، فيه إجمال، ووجه الإجمال أنه قد يُراد بها الملفوظ به وهو القرآن، والقرآن غير مخلوق، وقد يُراد بها صوت الإنسان، وهو مخلوق، بل قد يقول من ينكر خلق الله لأفعال العباد من القدرية وغيرهم (لفظي بالقرآن غير

مخلوق) ويريدون به أن أصوات القاري غير مخلوق وهذا أيضا ضلال على مايأتي في باب القدر.

قال الإمام أحمد: من قال (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو جهمي، ومن قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق) فهو مبتدع، والإمام البخاري ألف كتاب (خلق أفعال العباد) للرد على من يزعم أن القرآن مخلوق، ومن يزعم أن أفعال العباد غير مخلوقة.

والصواب في هذا أن يُقال: الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري.

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال رحمه الله:

وَقُــلْ يَــتَجلَّى اللهُ للخَلْــقِ جَهْــرةً   كَمَـا البَـدْرُ لا يَخْـفى وَرَبُّـكَ أَوْضَـحُ

هذ بيان لعقيدة السلف أصحاب الحديث رحم الله أمواتهم وحفظ أحيائهم في مسألة (رؤية الله يوم القيامة)، والرؤية ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع يقول الله عز وجل: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٣] أي: لربهم سبحانه وتعالى، ويقول: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾[القيامة:٢٢-٢٣] أي تنظر بعينها إلى الله عز وجل، والنظر يتعدى بنفسه ويتعدى بـ(في) ويتعدى بـ(إلى) فإذا عُديّ النظر بـ(إلى) فإنه يراد به النظر حقيقة، تقول نظرت إلى المسجد، نظرت إلى زيد، وإذا عدي بـ(في)، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الأعراف:١٨٥]، فالمراد به التفكر وأما إذا عُدي بنفسه فالمراد به الانتظار كقوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[النمل:٣٥].

ويقول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[يونس:٢٦] والزيادة فسرها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنها النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، فعَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عز وجل» متفق عليه.

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ). أخرجه مسلم.

ودلّ على إثبات الرؤية حديث جرير بن عبدالله ﵁: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه:١٣٠].

وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة ﵄ عند الشيخين: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**».

قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**». قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ**».

وأحاديث الرؤية كثيرة وقد ألف فيها العلماء، ومن أحسن تلك الكتب كتاب الرؤية للإمام الدارقطني ؒ؛ ولي فيها بحمد الله مؤلف بعنوان رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار.

والمؤمنون يرون الله ﷻ يوم القيامة في موطنين:

الموطن الأول: في المحشر لما تقدم من الأدلة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣] وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥] قال الشافعي: فلما حجب الكفار في السخط دلّ على أن المؤمنين يرونه في الرضا.

والموطن الثاني في الجنة: لحديث صهيب وغيره، وإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة هو عقيدة أهل السنة وفي اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والمؤمنون يرون حقًا ربهم..). وألذّ ما يتلذذ به المتلذذون هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، وجه الله الكريم العظيم، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**» أخرجه مسلم.

ومن شبه المعتزله أن الله لا يرى.

قوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣]، وهذا دليل على الرؤية، وإمكانها لا نفيها كما يزعمون، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾[الأعراف:١٤٣]، حيث قيد الرؤية سبحانه وتعالى بالممكن فلو ثبت ا لجبل لرأى موسى ربه، لكن لما انساخ الجبل علم موسى أن لا قدرة له على رؤية الله في الدنيا؟

وذهب الزمخشري وغيره من أهل البدع، إلى أن (لن) تفيد التأبيد، قال ابن مالك:

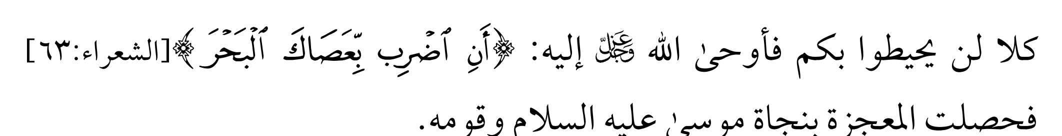
وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِـ(لَنْ) مُؤَبَّدَا   فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

ومما يدل على أن (لن) لا تفيد التأبيد، قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾[يوسف:٨٠]، فلما قيده بالأذن دلّ على أنها لا تفيد التأبيد: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[مريم:٢٦] فلما قيدته باليوم دلّ على أنها لا تفيد التأبيد.

وهذه الآية دليل لأهل السنة على إثبات الرؤية، إذًا لو كان موسى عليه السلام قد سأل ربه أمرًا مستحيلًا، لعاتبه الله كما عاتب نوح، فإن نوح لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[هود:٤٥] قال الله له: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾[هود:٤٦] الآية، وموسى كان أعلم الناس بربه في زمنه، وأيضًا لوكان فيه نفي الرؤية لقال: (يا موسى لا أُرَى).

ومن شبههم قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]، قالوا: الله لا يُرى، ونفي الإدراك نفي للرؤية، قال ابن تيمية رحمه الله: هذا دليل لنا لا علينا، وهو من أقوى الأدلة على إثبات الرؤية، وتحدى المبتدعة أن يأتوه بدليل صحيح في مسألة من المسائل إلا وكان فيه ردٌ عليهم، قال: فإن الإدراك رؤية وزيادة، كأن تقول: نظرت إلى الكوب فأدركته، أي: أحطت به، ونظرت إلى المسجد فلم أدركه أي: لم أحط به، فالإدراك رؤية وزيادة أي مع الإحاطة، فالله لكماله وعظمته وَكِبَرِه سبحانه وتعالى يُرى ولا يحاط به: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]، والدليل على أنّ الأدراك زيادة على الرؤية قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[الشعراء:٦١] قوم موسى وقوم فرعون لما رأى بعضهم بعضًا، ماذا قال أصحاب موسى؟ ما قالوا: إنهم رأونا؛ لأنهم قد رأوهم أصلًا، فلو كان الإدراك بمعنى الرؤية سيكون: فلما رأى قوم موسى قوم فرعون رأوهم، والقرآن مصان عن هذا؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، ولأنه كلام تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله.

إذن فقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي: إنه لمحاط بنا، فقال موسى: ﴿كَلَّآ﴾ هل معناه: كلا لم يروكم؟ أو قال: كلا لن يحيطوا بكم، قال:



كلا لن يحيطوا بكم فأوحىٰ الله ﷻ إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾[الشعراء:٦٣] فحصلت المعجزة بنجاة موسىٰ عليه السلام وقومه.

فالشاهد: أن الله ﷻ يُرىٰ، ويرىٰ في العلو، كما تقدم في الأحاديث «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ**» فالقمر يُرىٰ في العلو، والشمس تُرىٰ في العلو، والأشاعرة خلطُّوا في هذه القضية واضطربوا اضطرابًا عظيمًا؛ لأنهم لا يثبتون علو الله ﷻ، فقالوا: يُرىٰ لا في جهة، وهذه من العجائب كيف يرىٰ لا في جهة؟ وأين يُرىٰ، وكلامهم مؤداه إلىٰ نفي الرؤية، وقد شنع المعتزلة علىٰ الأشاعرة في هذه المسألة لأن الأشاعرة وافقوا المعتزلة في أن الله ليس في العلو وخالفوهم في مسألة الرؤية فإما أن يسلكوا طريقهم الضال في نفي العلو والرؤية اطرادًا لقاعدتهم، وإما أن يضطربوا، والقول في بعض الصفات كالقول في بعض، والباب واحد فالصحيح أن الله يُرىٰ في العلو، وأدلة الرؤية يثبت بها العلو.



تنزيه الله عن النقائص

قال رحمه الله:

وَلَيْسَ بمولودٍ وليس بِوَالِدٍ وَلَيس له شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ

في هذا البيت إشارة من الناظم رحمه الله لكمال الله تعالى المطلق من كل وجه، وتعاليه عن صفات المخلوقين المحدثين، وصفات الله عز وجل تنقسم إلى قسمين ثبوتية وسلبية أي منفية.

والثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية فالذاتية مثل السمع والبصر والقدرة والفعلية مثل الغضب والرضا، والمحبة وسميت فعلية لتعلقها بمشيئة الله عز وجل

والصفات الذاتية تنقسم إلى خبرية، ومعنوية فالخبرية هي التي يتوقف في ثبوتها على الخبر من الكتاب والسنة مثل الوجه، واليدين، ولا مجال للعقل في إثباتها، والمعنوية مثل العلم، والإرادة، والقدرة، والقاعدة في الصفات السلبية أنها لابد أن تتضمن كمال الضد.

والدليل على ما ذكر قول عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنعام:١٠١] والأصل في الصفات السلبية أنها تأتي مجملة وإذا جاءت مفصلة لأمرين: الأول: دفع ما ادعاه في حقه المبطلون كما في هذه الآية؛ والثاني: دفع توهم نقصي كما في قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ

وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[الزخرف:٨١]، وقال: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم:٨٨-٩٢]، فإنما يحتاج الولد المخلوق الناقص العاجز إما الله تعالىٰ فهو الحي القيوم.

قوله: (وَلَيسَ لهُ) دليله قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١] أي: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزه عن المثيل والنظير قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

والإجمال في النفي يؤتىٰ به لبيان عموم كمال الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكلمة (سبحان الله) تتضمن تنزيه الله عن جميع النقائص، وتستلزم إثبات جميع المحامد لله سبحانه، بينما كلمة (الحمد لله) تتضمن إثبات جميع المحامد والكمال، وتستلزم نفي جميع النقائص، ومن شبه الله بخلقه كفر، ومن عطل الله من صفاته كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تمثيل، ولا تعطيل.

الرد على الجهمية في مسألة الرؤية

قال رحمه الله:

رَوَاهُ جَرِيــرٌ عــن مَقَــالِ مُحَمَّــدٍ   فقُـلْ مِثْـلَ مـا قَـدْ قَـالَ في ذَاكَ تَـنْجَحُ
وَقَــدْ يُنكِــرُ الجَهْــمِيُّ أَيضًــا يَمِيْنَــهُ   وَكِلْتَــا يَدَيْــهِ بالفواضِــلِ تَــنْفَحُ

الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، الذي تلقىٰ عقيدته من الجعد بن درهم، والجهمية أكفر من اليهود والنصارىٰ، وهم أصحاب ضلالات وخرافات يزعمون أن الله لا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يسار، ولا داخل العالم، ولا خارجه، وشبهوا ربهم بالمعدومات، والممتنعات، حتىٰ قال بعضهم: منكرا عليهم: لو سألتك أن تصف لي العدم، ما زدت علىٰ هذا.

قوله: (**وَقَدْ**) هنا للتحقيق مثل قوله (قد قامت الصلاة) فالجهمية ينكرون الرؤية، وغيرها مما ثبت بالأدلة الصحيحة.

قوله: (**وعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ**) أي أن لأهل السنة، والجماعة أدلة بينة ظاهرة جلية صحيحة صريحة في أن الله يتجلىٰ للمؤمنين يوم القيامة ويرونه، رؤية تلذذ ومنها حديث جرير بن عبدالله البجلي الذي أخرجه البخاري، ومسلم، وغيرهما من أهل السنن، والمسانيد حتىٰ قال إسحاق بن راهويه: من أنكر حديث قيس بن أبي حازم عن إسماعيل بن أبي خالد عن جرير فهو جهمي واستدل به أهل الحديث قاطبة لا نعلم في ذلك خلافًا.

ونصه رضي الله عنه: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه:١٣٠] متفق عليه.

قوله رحمه الله: **(فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح)** أي: قل مثل قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه ومن سار على طريقتهم من السلف الصالحين، تنجح وتفوز وتسلم من الضلال والانحراف.

فما يسلم إلا من استسلم، وانقاد، وأخذ بالحجة القرآنية، والسنة النبوية، بعيدًا عن تخرصات أهل البدع وظنونهم الفاسدة، وأرائهم الكاسدة، ولا حول، ولا قوة إلا بالله.

إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله:

وَقَــدْ يُنكِــرُ الجَهْــمِيُّ أَيضًــا يَمِيْنَــهُ   وَكِلْتَــا يَدَيْــهِ بالفواضِــلِ تَــنْفَحُ

قوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ): أيضًا (قَدْ) هنا للتحقيق لا للتقليل أو التكثير والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان على ما تقدم، الذين يعطلون الله ﷻ من صفات الكمال، والجلال، والعظمة، وينكرون كثيرًا من المغيبات.

وصفة اليدين لله ﷻ ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧].

وقال تعالى:﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، وقال:﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[آل عمران: ٢٦]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح: ١٠]، إلى غير ذلك من الأدلة في الباب.

وفي السنة ما جاء أن رسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يقسم ويقول والذي نفسي بيده.

وفي "الصحيحين" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولَ الله ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ**

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».

وفي حديث عبدالله بن عمرو عند مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**».

وفي حديث المغيرة عند الشيخين في وصف أعلىٰ أهل الجنة منزله قال الله: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**».

وفي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عندهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في محاجة آدم وموسىٰ عندهما: «**قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ... فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ**» الحديث.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري (١٤١٠) قال قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»، وفي رواية لمسلم (١٠١٤): «**إِلَّا أَخَذَهَا اللهُ بِيَمِينِهِ**».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وصفة اليدين لله من الصفات الذاتية الخبرية وهي صفة حقيقية تليق بجلاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالىٰ الله أن يكون بلا يد وتنزه أن تشبه يده يد المخلوق.

وذهب أهل التعطيل إلىٰ إنكار هذه الصفة وقالوا إنها مجاز في النعمة أو القدرة أو القوة، وهذا باطل من وجوه، **منها**:

الأول: لو كان معنىٰ اليدين القوة أو القدرة لكان جواب إبليس خلقتني بقدرتك، وخلقته بقدرتك فلا فضيلة له عليّ.

الثاني: الله تعالىٰ متصف بقوة، وقدرة واحدة لا قدرتين، ولا قوتين.

الثالث: نعم الله تعالىٰ كثيرة ولا تحصر في نعمتين قال تعالىٰ: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها).

الرابع: قد جاء تصريف اليدين علىٰ عدة أوجه يمنع دعوىٰ المجاز فيها منها أن الله يأخذ بها ويقبض ويبسط، ويهز، وأن له أصابع ففي البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود قال عَنْ عَبْدِالله: أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالخَلَائِقَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. «**فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[الأنعام:٩١] إلىٰ غير ذلك مما هذا ليس موطن بسطه.

قوله: (**وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ**) علىٰ ما تقدم بيانه من قوله تعالىٰ: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة: ٦٤]، وفي "الصحيحين" من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولَ الله ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا**

أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». والفواضل هي النعم.

وكلتا يديه سبحانه يمين كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص المتقدم «**إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**» أخرجه مسلم (١٨٢٧).

وجاء لفظ الشمال في حديث عبدالله بن عمر ﭭ عند مسلم بلفظ: «**يَطْوِي اللهُ ﻷ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ**» من طريق عمر بن حمزة بن عبدالله وهو ضعيف، وزيادته منكرة.

وقد أخرج الحديث البخاري ومسلم من طريق عبيد الله عن نافع عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**» بدون ذكر الشمال.

إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله:

وَقُـــلْ يَـــنْزِلُ الجَبَّـــارُ في كُلِّ لَيْلَـــةٍ ... بِـــلا كَيْــفَ جَــلَّ الواحــدُ المتَمَـدِّحُ

إلى طَبَـــقِ الدُّنيــــا يَمُـــنُّ بِفَضْــــلِهِ ... فَتُفْـــرَجُ أَبْـــوابُ السَّـــماءِ وتُفْــتحُ

يَقُـــولُ: ألا مُسْــــتغفِرٌ يَلْــــقَ غَافِــــرًا ... ومُسْـــتَمنِحٌ خَـــيْرًا ورِزقًــــا فـــأَمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَـــومٌ لا يُـــرَدُّ حَـــدِيثَهم ... ألا خَـــابَ قَـــوْمٌ كَـــذَّبوهُم وقُبِّحُـــوا

يقرر رحمه الله في هذه الأبيات أن من عقيدة أهل السنة أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل نزولا يليق بجلاله.

وصفة النزول من الصفات الفعلية التي دل على إثباتها السنة، والإجماع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**». أخرجه البخاري رقم (١١٥٤) (٦٣٢١) (٧٤٩٤)، ومسلم رقم (٧٥٨).

وأخرج الحديث مسلم برقم (٧٥٨-١٧٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأبي هريرة بلفظ «**إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ**».



وفي لفظ له من حديث أبي هريرة «**يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ، وَلَا ظَلُومٍ**».

وفي رواية له أيضًا «**إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**».

وفي لفظ له: «**يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ**».

وأخرج الإمام أحمد (٣٦٧٣) من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللهُ عز وجل إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**» قال الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند": هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد (٤/ ١٦) من طريق هلال ابن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ - أَوْ قَالَ: ثُلُثَا اللَّيْلِ - يَنْزِلُ اللهُ عز وجل إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي، مَنْ ذَا يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنِ الَّذِي يَدْعُونِي فأَستَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي**

يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ» قال الوادعي: هذا حديث صحيح رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده" (٤/ ٨١) وابن أبي عاصم رقم (٥١٩) وغيرهما من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**».

وقد جاء عن غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم حتىٰ قال ابن القيم: هذا الحديث روي عن ثلاثة وعشرين صحابيًا.

قوله: (**بِلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ**) يشير ؒ إلىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الصفات، وهي أنهم يثبتون الصفات من غير تكييف لها إذ لا تُعرف كيفية الصفة إلا برؤيتها أو رؤية مثيلها، أو إخبار من رآها عنها وكل هذا منتفي في حق الله ﷻ إذ لا يعرف كيف هو إلا هو، ومما يُروىٰ عن مالك ؒ: الاستواء معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فما من صفة من صفات الله تعالىٰ إلا ولها كيفية تليق بجلاله، لكنها مجهولة لنا، وهنا تنبيه وهو أن المثبت يجب أن يكون بعيدًا من التكيف والتمثيل والمنزه يجب أن يكون بعيدًا عن التحريف والتعطيل.

قوله: (**إلىَ طَبَقِ الدُّنيا**) أي: إلىٰ السماء الدنيا علىٰ ما تقدم في الأحاديث.

قوله: (**يَقولُ: ألا مُسْتغفِرٌ**) أي: الله تعالىٰ يقول من يستغفرني علىٰ ما تقدم بيانه، ويأتي نحوه.

قولهُ: (رَوَىٰ ذَاكَ قَومٌ لا يُرَدُّ حَدِيثَهم) أي: إن الذين جاء من طريقهم حديث النزول أئمة أثبات، وحفاظ ثقات، مثلهم لا يرد حديثهم إلا من سفه نفسه.

والذين يردون هذه الأحاديث وما في بابها هم أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ومن إليهم وقد جعلوا لهم قاعدة يسيرون عليها، وهي رد خبر الآحاد في باب العقائد، مع أن الله تعالىٰ أرسل الرسل آحادًا إلىٰ قومهم، وهكذا رسول الله ﷺ أرسل كتبه للملوك يدعوهم إلىٰ الإسلام مع آحاد الناس فتنبه لهذه العلة العليلة بل الميتة.

وقد ذهب المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة علىٰ طريقتهم الشنعاء في تحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ فقالوا: إنما هو نزول ملك من الملائكة أو نزول أمر الله ورحمته والرد عليهم من وجوه يعرف بعضها من لدية مزعة عقل وسلامة معتقد.

الوجه الأول: كيف يعقل أن يقول الملك: من يدعوني؟ من يسألني؟ من يستغفرني؟ وهذه عبادات لا تصرف إلا لله ﷻ وصرفها لغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلاّ هو شرك أكبر مخرج من الملة، والملائكة قد قال الله عنهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم: ٦] والملك إذا تكلم عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطِب بل يقول: إن الله أمر بكذا كما في الحديث «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**».

الوجه الثاني: في بعض ألفاظ الحديث التي تقدم ذكره يقول الله تعالىٰ: إذا نزل: «**أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبَ لَهُ**» وفي رواية تقدمت أيضًا «**لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي أَحَدًا غَيْرِي**».

وأما من زعم أن النازل أمره فأوامر الله تعالىٰ نازلة في كل وقت وحين وتخصيص نزولها بالثلث الأخير من الليل ليس عليه دليل قال تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[الرحمن: ٢٩].

ومن زعم أن النازل رحمته فإن أراد بها صفته فنزول الصفة يلزم منه نزول الموصوف، وإن أراد به الرحمة المخلوقة فعلىٰ ما تقدم القول في من زعم نزول الملك زد علىٰ ذلك أي مصلحة لنا في نزول الرحمة إلىٰ السماء الدنيا فقط.

ثم إن أدلة النزول يثبت بها علوم الله ﷻ فإن النزول يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل علىٰ ما هو معلوم عند عامة العقلاء، وصفة النزول من الصفات الفعلية لتعلقها بمشيئة الله تعالىٰ وصفة العلو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله ﷻ أزلًا وأبد، قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأعلىٰ: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك: ١٦]، وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل: ٥٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾[النساء: ١٥٨]، وقال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾[المعارج: ٤]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠]، وأدلته من السنة متواترة، ومنها حديث معاوية بن الحكم عن مسلم أن النبي ﷺ قال للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». والمراد بقوله: (في السماء) أي: علىٰ السماء، وإن شئت قلت: في العلو؛ فإنّ كلَّ ما علا سماءٌ، وقد توسعت في الكلام علىٰ هذه الصفة في كتابي "سلامة الخلق في طريقة السلف" وغيره.

تنبيه: يثبت الله ﷻ صفة المعية لقول الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾[المجادلة: ٧] والمراد بالمعية هنا معية العلم

والسلطان والقهر وغير ذلك من خصائص الربوبية ومن زعم أن الله حَالٌّ في شيء من مخلوقاته أو مُتحد بِها فقد كفر، وأنت تعلم أن (مع) لا تقتضي اختلاطًا ولا اتحادًا وإنما تدل علىٰ مطلق مصاحبَة، فأحدنا إذا سافر يقول مازلت أسير والقمر معي وهو في السماء وأنت في الأرض، فإذا حصل التبايُن في المخلوقات فهو حاصل بين الخالق والمخلوق من باب أولىٰ، فتنبه لهذا تسلم من تخرصات المبتدعين الضالين.

والمعية تنقسم إلىٰ معية عامة وهي ماتقدم بيانها، ومعية خاصة وهي المقترنة بالنصر والتأييد والحفظ، مثل قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨].



فضل الخلفاء الأربعة

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُـلْ إنَّ خَـيْرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ وَزِيـراهُ قُـدْمًا، ثُـمَّ عُثْمَـانُ أَرْجَـحُ

وَرابِعُهُـم خَـيْرُ البرِيَّـةِ بَعْـدَهُم عَـلِيٌّ حَليـفُ الخَـيرِ، بـالخَيرِ مُـنْجِحُ

وإنَّهُـمُ والـرَّهْطُ لا رَيْـبَ فِـيْهِمُ عَلَى نُجُـبِ الفِـرْدَوْسِ في الخُـلْدِ تَـسْرَحُ

ثم تكلم رَحِمَهُ اللهُ على فضائل الصحابة، والاهتمام بفضائلهم أمر حتم، والدفاع عنهم دفاع عن الإسلام، وعن العقيدة؛ لأنهم حملة الأخبار ونقلتها؛ ولأنهم الأنصار الذين ناصروا الدين، وناصروا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فالمهاجرون، والأنصار من هذه الحيثية كلهم أنصار لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ولمنزلتهم ما من كتاب ألف وصنف في باب العقيدة إلا وتجد فضائل الصحابة فيه، ككتاب "السنة" لابن أبي عاصم، و"الشريعة" للآجري، بل أغلبه في فضائل الصحابة، وكتاب "صحيح البخاري"، وكتاب "صحيح مسلم"، و"فضائل الصحابة" للإمام أحمد، وكم من كتب ألفها الشيخ مقبل مثل "الجامع الصحيح" يذكر فيه فضائل الصحابة، و"إلحاد الخميني في أرض الحرمين" و"صعقة الزلزال على أهل الرفض والاعتزال" و"إرشاد ذوي الفطن إلى إخراج غلاة الروافض من اليمن" وهكذا؛ لأن الطعن في الصحابة طعن في الدين، بل هدم للدين من أساسه؛ لأنك إذا قلت: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ... قال لك الرافضي: أبوهريرة كذاب! عن أبي موسى الأشعري.. قالوا: كذاب! معاوية، قالوا: كافر!

وأبوبكر.. ظالم، عثمان.. وعمر.. وهكذا، فما بقيَ لنا من الدين إذا كان حملته، ونُقَّاله، ووزراء النبي ﷺ مطعون فيهم، وليسوا بعدول، وجُعل الطعن فيهم علامة الخذلان، وسلم الحرمان، والطعن فيهم من سمات الخوارج والنواصب والروافض الباطنية، وهم أشدهم حتىٰ عرفوا بهذا الوصف، فالدفاع عن الصحابة من ديننا، ولأن نُسب نحن والله أهون علينا من أن يسب أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، وغيرهم، ولأن يُطعن في أعراضنا أهون من أن يطعن في عرض رسول الله ﷺ، وتتهم عائشة رضي الله عنها بما برأها الله ﷻ منه.

فالدفاع عن الصحابة دفاع عن الدين، زد علىٰ ذلك أن نقل فضائلهم نقل للكتاب والسنة، فالله ﷻ قد ذكر فضائلهم، وأثنىٰ عليهم في غير ما آية وفي غير ما سورة، والنبي ﷺ أثنىٰ عليهم، ألا نثني ونحب من أثنىٰ عليه الله ﷻ، وأثنىٰ عليه رسول الله ﷺ؟ بلىٰ وربي، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال لأبي هريرة: «**اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - **وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ**» قال فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.

فما يبغضه إلا الروافض؛ لأنه نقل الأخبار التي تدل علىٰ فساد أقوالهم، و أفعالهم، وهم من أهل النفاق الاعتقادي، والزندقة الجلية

فيقول الناظم رحمه الله: اعتقد أن خير الناس من هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ هو أبوبكر رضي الله عنه وإلا فإن الأنبياء والرسل من بقية الأمم أفضل من أبي بكر رضي الله عنه .

وهذا الذي ذكره عليه قول أهل السنة قاطبة في فضيلة أبي بكر رضي الله عنه، ثم عمر ثم عثمان ثم علي فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَلَا

يُنْكِرُهُ. وفي البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: أَبُوبَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ، ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

أما أبوبكر؛ فهو عبدالله بن أبي قحافة التيمي الصديق رضي الله عنه، أول من آمن من الرجال الأحرار، فضائله مشهورة وخيره عظيم على ما يأتي بيانه كان رسول الله ﷺ زوجًا لابنته عائشة رضي الله عنها.

وأما عمر؛ فهو: أبوحفص عمر بن الخطاب العدوي رضي الله عنه الملقب بالفاروق، كانت ابنته حفصة زوجة للنبي ﷺ.

وقال فيهم: (وَزِيراهُ)؛ لأنهم كانوا معه وحوله كحال الوزير مع الملك ثم هم كانوا خلفاء من بعده وقد صح عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يقول: «**جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» أخرجاه.

وأما ثالثهم؛ فهو عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين تزوج بنتي النبي ﷺ: رقية وأم كلثوم.

قوله: (**أرجح**) يشير إلى ما وقع من الخلاف في الزمن الأول من تقديم بعضهم لعلي رضي الله عنه على عثمان في الفضل لا في الخلافة والصحيح أن عثمان رضي الله عنه أفضل وقد أجمع الصحابة على فضله كما أخرجه البخاري في قصة البيعة حيث قال عبدالرحمن بن عوف ولم أرهم يعدلون بعثمان أحدًا.

ذكر شيء من فضائل الصحابة:

وإليك بعض ما يدل على فضل من ذكر من هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على التعيين؛ وإلا فضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

فمن فضائل الصديق الأكبر (أبوبكر رضي الله عنه):

ما جاء عند البخاري (٣٦٥٦) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢)؛ أن رسول الله جلس على المنبر؛ فقال: «**عَبْدٌ خَيَّرَهُ الله بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»؛ فَبَكَىٰ أَبُوبَكْرٍ وَبَكَىٰ، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ الله هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ. وَقَالَ رَسُولُ الله: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُوبَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ لَا تُبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ؛ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**».

وأخرج مسلم في صحيحه (٢٣٨٣) عن عبدالله بن مسعود؛ قال: قال رسول الله: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ الله صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا**».

وفي "الصحيحين": البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) عن عمرو بن العاص؛ أن رسول الله بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ؛ فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**» فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**»؛ فَعَدَّ رِجَالًا.

وأخرج مسلم (١٠٢٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وأخرج البخاري (٣٦٦١) عن أبي الدرداء قال: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَبُوبَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّىٰ أَبْدَىٰ عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**» فَسَلَّمَ، وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَالتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَىٰ عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ: «**يَغْفِرُ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَىٰ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَّمَ أَبُوبَكْرٍ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّىٰ أَشْفَقَ أَبُوبَكْرٍ، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، وَالله أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

وأخرج البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨) عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا، فَالتفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي**» فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ الله! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَ أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمَا ثَمَّ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ**».

وأخرج البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ الله،**

ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ».

وفيهما البخاري (٣٦٦٦) ومسلم عن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ الله دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَا عَبْدَالله، هَذَا خَيْرٌ لَكَ وَلِلجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**» قَالَ أَبُوبَكْرٍ: هَلْ عَلَىٰ مَنْ يُدْعَىٰ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**» يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ.

وفي "الصحيحين" البخاري (٣٦٧٤) ومسلم عن أبي موسىٰ الأشعري: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَقُلْتُ: لَالزَمَنَّ رَسُولَ الله، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا قَالَ: فَجَاءَ المَسْجِدَ فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا فَخَرَجْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّىٰ قَضَىٰ رَسُولُ الله ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَىٰ بِئْرِ أَرِيسٍ وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ الله ﷺ اليَوْمَ فَجَاءَ أَبُوبَكْرٍ فَدَفَعَ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا أَبُوبَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَأَقْبَلْتُ: حَتَّىٰ قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُوبَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ

فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يُرِيدُ أَخَاهُ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**» فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا يَأْتِ بِهِ فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ فَجِئْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**» فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تُصِيبُكَ فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ فَجَلَسَ وِجَاهَهُ مِنَ الشَّقِّ الآخَرِ. قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِالله: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ.

ومن فضائل عمر رضي الله عنه:

نزيد علىٰ ما تقدم في البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا، فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا، فَقَالَ: لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ**».

وأخرج البخاري (٣٦٨١) ومسلم عن عبدالله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُتِيتُ بِقَدَحٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ فِي ظُفْرِي، أَوْ قَالَ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ فَضْلَهُ عُمَرَ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَوَّلْتَهُ قَالَ: «**العِلْمَ**». ورؤيا الأنبياء وحي.

واتفقا على حديث أبي سعيد البخاري رقم (٣٦٩١) ومسلم قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**الدِّينَ**».

وأخرج البخاري (٢٦٨٣) ومسلم (٢٣٩٦) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَرَسُولُ الله ﷺ يَضْحَكُ فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ الله سِنَّكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ**» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ.

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي، وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ الله ﷺ، قُلْنَ: نَعَمْ أَنْتَ أَغْلَظُ، وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» رواه البخاري (٣٦٨٦).

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه:

نزيد على ما تقدم قول النبي ﷺ في شأنه: «**مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**» فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**» فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وأخرج البخاري (٣٦٩٦) عن عُبَيْدَ الله بْنَ عَدِيٍّ بْنِ الخِيَارِ؛ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ قَالَا: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ؛ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ، قَالَ مَعْمَرٌ: أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْكَ؛ فَانْصَرَفْتُ فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ؛ فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ الله ﷺ وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ؟، قُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَىٰ العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الله بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لله وَلِرَسُولِهِ وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَبَايَعْتُهُ؛ فَوَ الله مَا عَصَيْتُهُ وَلَا غَشَشْتُهُ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ الله ﷻ، ثُمَّ أَبُوبَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ؛ أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ، أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ؛ فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ الله، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا؛ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ.

وأخرج رقم (٣٦٩٨): عن عُثْمَانُ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ؛ فَرَأَىٰ قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُالله بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ؛ فَحَدِّثْنِي: هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ، وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: الله أَكْبَرُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ الله

عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**»، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؛ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»؛ فَضَرَبَ بِهَا عَلَىٰ يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

وأخرج مسلم (٢٤٠١) عن عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُوبَكْرٍ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُول اللهِ ﷺ وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ؛ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُوبَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**».

ومن فضائل رابعهم وهو: علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ما أخرجه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ؛ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ؛ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى**

رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ؛ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

وقال عنه رسول الله ﷺ: «**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**» رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وفي مسلم (٧٨) عنه رضي الله عنه أنه قال: وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ. وعن بريدة عند أحمد (٥/ ٣٤٧) وغيره مرفوعًا: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ؛ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**».

هذه إشارات إلى فضائل هؤلاء القوم الذين نصر الله بهم الدين، وأعز بهم المسلمين.

قوله رحمه الله**:** (**عَلَى نُجُبِ الفِرْدَوْسِ فِي الخُلْدِ تَسْرَحُ**) يشير إلى تبشير النبي ﷺ لهم بالجنة ويجب علينا أن نجزم بمن جزم له رسول الله ﷺ بذلك.

فضائل بقية العشرة المبشرين بالجنة

قال رحمه الله:

سَـعِيدٌ وسَـعْدٌ وابـنُ عَـوْفٍ وطَلْحـةٌ وعَامِـرُ فِهْـرٍ والـزُّبَيْرُ المُمَـدَّحُ

هؤلاء هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم المذكورون في حديث عبدالرحمن بن عوف عند الترمذي (٣٧٤٧) قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَبُوبَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**».

وجاء الحديث عن سعيد بن زيد أيضًا عند الترمذي (٣٧٤٨)، والحديث حسن.

وقد مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ كما في البخاري (٣٧٠٠) عن عمر، وذكر عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وسعيدًا.

فسعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل الذي قال النبي ﷺ: «**يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**» أخرجه البخاري.

وسعد هو ابن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري يكنىٰ أبا إسحاق كان سابع سبعة في الإسلام اسلم بعد ستة.

وجمع له رسول الله ﷺ وللزبير أبويه، فقال لكل واحد منهما فيما روى عنه ﷺ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**».

وروى ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**اللهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ، وَسَدِّدْ رَمْيَتَهُ**».

ومن كراماته ما أخرجه البخاري عن جابر بن سمرة قال شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي قال أبو إسحاق أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخريين قال ذاك الظن بك يا أبا إسحاق فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه ويثنون معروفا حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال سعد أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد قال عبد الملك فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن.

وهو ومن معه من الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض على ما تقدم.

وابن عوف هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري يكنىٰ أبا محمد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وكان من المهاجرين الأولين جمع الهجرتين جميعًا: هاجر إلىٰ أرض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة وهاجر إلىٰ المدينة وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله ﷺ إلىٰ دومة الجندل إلىٰ كلب وعممه بيده وسدلها بين كتفيه وقال له: «**سِرْ بِاسْمِ اللهِ**» وأوصاه بوصاياه لأمراء سراياه.

وطلحة هو ابن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي.

وعامر فهر هو أبو عبيدة بن الجراح قيل اسمه عامر بن الجراح، وقيل: عبدالله ابن عامر بن الجراح والصحيح أن اسمه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري. شهد بدرًا مع النبي ﷺ وما بعدها من المشاهد كلها.

وهو الذي انتزع من وجه رسول الله ﷺ حلقتي الدرع يوم أحد فسقطت ثنيتاه وكان لذلك أثرم وكان نحيفًا معروق الوجه طوالًا أجنأ وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة وكان من كبار الصحابة وفضلائهم وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم أجمعين، قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ**». وقال أبوبكر الصديق يوم السقيفة: قد رضيت لكم

أحد هذين الرجلين يعني عمر وأبا عبيدة. وقال عمر إذ دخل عليه الشام وهو أميرها: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة. وله فضائل جمة.

توفي رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة بالأردن من الشام وبها قبره.

والزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي يكنىٰ أبا عبدالله. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أسلم الزبير وهو ابن خمس عشر سنة قال عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**» وهو بقوله: (**الممدح**) يشير إلىٰ هذا الحديث.

هذا بعض من كل، وقد توسعت في فضائلهم في غير ما موطن من كتبي، والحمد لله.

فضل عائشة رضي الله عنها ومعاوية رضي الله عنه

قال رحمه الله:

وَعَائِشُ أُمِّ المُـؤْمِنِينَ وَخَالُنَا ... مُعَاوِيَةُ أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ مُصلحُ

قوله رحمه الله: (وعائش) هو ترخيم عائشة، وهي عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي ﷺ، تقدم ذكر أبيها في بابه، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين هذا قول أبي عبيدة وقال غيره: بثلاث سنين وهي بنت ست سنين وقيل: بنت سبع وابتني بها بالمدينة وهي ابنة تسع لا أعلمهم اختلفوا في ذلك وكان رسول الله ﷺ قد أري عائشة في المنام في سرقة من حرير فتوفيت خديجة فقال: إن يكن هذا من عند الله يمضه فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين فيما ذكر الزبير وكان موت خديجة قبل مخرجه إلى المدينة مهاجرًا بثلاث سنين هذا أولى ما قيل في ذلك وأصحه إن شاء الله تعالى أفاده ابن عبد البر في "الاستيعاب".

وفضائلها كثيرة، منها:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**». أخرجه مسلم (٢٤٣٨).

وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى الطَّعَامِ**» متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَائِشُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ. قَالَتْ: وَهُوَ يَرَىٰ مَا لَا أَرَىٰ. متفق عليه

ابتليت ﵂ بحادثة الإفك فبرأها الله تعالىٰ. ففي البخاري ومسلم عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُاللهِ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَىٰ لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، ذَكَرُوا أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ



الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا. وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ، مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ.

فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ عَبْدُاللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «**كَيْفَ تِيكُمْ؟**» فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ، وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّىٰ بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا

مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ! فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ! أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟! قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ، أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟! قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَىٰ مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**كَيْفَ تِيكُمْ؟**» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ الله ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ، مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَالله، لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ الله! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟! قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي. وَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «**أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟**» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِالله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا**

رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لَنَقْتُلَنَّهُ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ! فَثَارَ الْحَيَّانِ: الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا وَسَكَتَ.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ - وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ - : إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ:

إِنِّي بَرِيئَةٌ - وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ - وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُونَنِي، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُويُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف:١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي.

قَالَتْ: وَأَنَا وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَىٰ، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ؛ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾**[النور: ١١] عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ - : وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾**[النور:٢٢] فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ: وَاللهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي: «**مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟**» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي،

وَاللهِ، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ فَهَذَا مَا انْتَهَىٰ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ.

فصار الطعن في عائشة رضي الله عنها محنة، ومن اتهمها مما برأها الله منه فهو كافر خبيث حلال الدم.

قوله: (**أم المؤمنين**) يدل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[الأحزاب:٦].

وهي زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة كما قال عمار أخرجه البخاري.

قوله: (**وخالنا مُعَاوِيَة أَكْرِمْ بِهِ فَهْوَ مُصلحُ**) رد علىٰ الرافضة ومن إليهم من الطاعنين فيه رضي الله عنه، وهو معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان: صخر بن حرب، وأمه هند بنت عتبة، أسلم هو وأبوه وأمه، وحسن إسلامهم، وكان يكتب الوحي بين يديّ النبي ﷺ، دعا له النبي ﷺ بقوله: «**اللهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ وَالحِسَابَ وَقِهِ الْعَذَابَ**» والحديث خرج طرقه الشيخ الألباني رحمه الله في "الصحيحة" رقم (٣٢٢٧). وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث علىٰ أن من قال: إن زوجته طالق إن لم يكن معاوية في الجنة، أن أمرأته لا تطلق؛ لأن النبي ﷺ دعا لمعاوية أن يقيَه الله العذاب.

قولهُ: (خال المؤمنين) لأنه أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ﵄، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦] وأخو الأم خال، لكن هل يقال هذا في أخوتهن وغير ذلك؟ الظاهر أن هذا لا يقال لهم، والله أعلم.

وذهب بعض الشانئون له ﵁ إلىٰ الطعن فيه، مستدلين بما أخرجه مسلم (٢٦٠٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: كُنْتُ أَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَوَارَيْتُ خَلْفَ بَابٍ، قَالَ: فَجَاءَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، وَقَالَ: «**اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِيَ: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ**» قَالَ: فَجِئْتُ فَقُلْتُ: هُوَ يَأْكُلُ، فَقَالَ: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ**».

ولا مطعن فيه بذلك؛ لأنه لم يرد في الحديث أن ابن عباس قال له رسول الله ﷺ يدعوك فرفض الإجابة.

الأمر الأخر: أنه قد صح عن النبي ﷺ عند مسلم (٢٦٠٠) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكِ**» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «**أَوَمَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**». وجاء عن غيرها، فتعتبر هذه فضيلة لمعاوية ﵁.

الأمر الثالث: أن التنعم بأكل الحلال من النعم فكان في هذه الدعوة النبوية بركة عظيمة لمعاوية ﵁.

وجاء عند مسلم (٢٥٠١) في بيان إسلام أبي سفيان ﵁: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَبِي سُفْيَانَ وَلَا يُقَاعِدُونَهُ، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

يَا نَبِيَّ اللهِ، ثَلَاثٌ أَعْطِنِيهِنَّ، قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: عِنْدِي أَحْسَنُ الْعَرَبِ وَأَجْمَلُهُ، أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، أُزَوِّجُكَهَا، قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: وَمُعَاوِيَةُ، تَجْعَلُهُ كَاتِبًا بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: وَتُؤَمِّرُنِي حَتَّى أُقَاتِلَ الْكُفَّارَ، كَمَا كُنْتُ أُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ أَبُوزُمَيْلٍ: وَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا قَالَ: «**نَعَمْ**».

وطعن في هذا الحديث بعضهم، ولا مطعن فيه، والحمد لله. فلعله أراد بقوله: (وأجمله أم حبيبة أزوجكها) أي: أجدد لك العقد عليها وأطيبة ونحو ذلك، أو لعله أراد بها اختها عزة، فتصحف على الراوي، والله أعلم.

فضائل بقية الصحابة

قال رحمه الله:

وَأَنْصَارُه وَالهَاجِرونَ دِيارَهم ... بنصرهُمُ عَنْ ظلمةِ النَّارِ زحزحُوا

وَمَنْ بعدَهُم وَالتابِعُون بِحُسنِ مَا ... حَذو حَذوهم قَولًا وَفِعلًا فَأفْلحوا

بعد أن بين رحمه الله فضائل بعض الصحابة أجمل وبيّن وجوب اعتقاد فضل ألأنصار والمهاجرين جميعًا للأدلة المبينة والمجلية لذلك.

والأنصار: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج، الذين ناصروا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واعلم أن القرآن قد أثنىٰ عليهم وبين فضائلهم في مواطن كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر:٨-١٠].

وعند ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (٣/ ٣٣١) من حديث أسيد بن حضير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأَنْصَارُ كَرْشِي وَعَيْبَتِي**» وهو في "الصحيح"[1] عن أنس ﷺ ولفظه: «**الأَنْصَارُ كَرِشِي، وَعَيْبَتِي وَالنَّاسُ سَيَكْثُرُونَ، وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

والمراد بـ(الكرش) الباطنة وموضع السر والأمانة، والذي يعتمد عليهم في أموره، واستعار الكرش والعيبة لذلك؛ لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يضع متاعه في عيبته، وقيل: المراد بالكرش؛ الجماعة أي: جماعتي وصحابتي. اهـ من "النهاية".

وفي البخاري (٣٧٧٦) عن غَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَرَأَيْتَ اسْمَ الأَنْصَارِ كُنْتُمْ تُسَمَّوْنَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمُ الله، قَالَ: بَلْ سَمَّانَا الله ﷻ، كُنَّا نَدْخُلُ عَلَىٰ أَنَسٍ فَيُحَدِّثُنَا بِمَنَاقِبِ الأَنْصَارِ وَمَشَاهِدِهِمْ، وَيُقْبِلُ عَلَيَّ أَوْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الأَزْدِ، فَيَقُولُ: فَعَلَ قَوْمُكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا.

وفي البخاري (٣٧٧٦)، ومسلم (١٠٥٩) واللفظ لمسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بِنَعَمِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَمِنَ الطُّلَقَاءِ فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّىٰ بَقِيَ وَحْدَهُ؛ فَنَادَىٰ يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا التَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**»، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، ثُمَّ التَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**»،

---

(١) البخاري (٣٨٠١)، ومسلم (٢٥١٠).

قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ؛ فَنَزَلَ، فَقَالَ: «**أَنَا عَبْدُالله وَرَسُولُهُ**»؛ فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ فَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً فَقَسَمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالطُّلَقَاءِ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةٌ فَنَحْنُ نُدْعَىٰ وَيُعْطَىٰ الغَنِيمَةَ غَيْرُنَا فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟**» فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ الله تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟**» قَالُوا: بَلَىٰ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَأَخَذْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ**» وَقَالَ هِشَامٌ: قُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ وَأَنْتَ شَاهِدٌ ذَاكَ، قَالَ: وَأَيْنَ أَغِيبُ عَنْهُ.

وفي البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) عن البراء قال النبي ﷺ: «**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ المُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ المُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصَارِ**» أخرجه البخاري (٣٧٨٤).

وفي حديث أبي سعيد عند مسلم (٧٧): «**لَا يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ**».

وفي حديث أنس عند البخاري (٣٧٨٥) ومسلم (٢٥٠٨): «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ**»، وقد تقدم في وصية عمر رضي الله عنه للخليفة بالإحسان إليهم.

وفي حديث أنس عند أحمد (٣/ ٢١٦) أَتَتِ الْأَنْصَارُ النَّبِيَّ ﷺ بِجَمَاعَتِهِمْ فَقَالُوا إِلَىٰ مَتَىٰ نَنْزَعُ مِنْ هَذِهِ الْآبَارِ فَلَوْ أَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ فَدَعَا اللهَ لَنَا فَفَجَّرَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ عُيُونًا فَجَاءُوا بِجَمَاعَتِهِمْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ «**مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جَاءَ**

بِكُمْ إِلَيْنَا حَاجَةٌ» قَالُوا إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ «**إِنَّكُمْ لَنْ تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا إِلَّا أُوتِيتُمُوهُ وَلَا أَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَانِيهِ**» فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَقَالُوا الدُّنْيَا تُرِيدُونَ فَاطْلُبُوا الْآخِرَةَ فَقَالُوا بِجَمَاعَتِهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ لَنَا أَنْ يَغْفِرَ لَنَا فَقَالَ «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ**» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَأَوْلَادِنَا مِنْ غَيْرِنَا قَالَ «**وَأَوْلَادِ الْأَنْصَارِ**» قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَوَالِينَا قَالَ «**وَمَوَالِي الْأَنْصَارِ**».

وفي البخاري (٣٧٩٩) قال أنس بن مالك: مَرَّ أَبُوبَكْرٍ وَالعَبَّاسُ رضي الله عنهما بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ، قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَقَدْ عَصَبَ عَلَىٰ رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ المِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ؛ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

وفي حديث جابر رضي الله عنه عند أحمد (٣/ ٣٢٢) قال: مَكَثَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًىٰ، يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الجَنَّةُ؟**» حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مِصْرَ - كَذَا قَالَ - فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: احْذَرْ غُلَامَ قُرَيْشٍ، لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ، حَتَّىٰ بَعَثَنَا اللهُ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ، وَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلَامِهِ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جَمِيعًا، فَقُلْنَا: حَتَّىٰ مَتَىٰ نَتْرُكُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ؟ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّىٰ قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي

المَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّىٰ تَوَافَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، علامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، وَأَزْوَاجَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الجَنَّةُ**» قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَىٰ اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْذَرَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ، قَالُوا: أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ، فَوَاللهِ لَا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا، قَالَ: فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا، وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَىٰ ذَلِكَ الجَنَّةَ.

وعند البخاري (٣٨٠٠) عن ابن عباس قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُتَعَطِّفًا بِهَا عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْمَاءُ، حَتَّىٰ جَلَسَ عَلَىٰ المِنْبَرِ؛ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقِلُّ الأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْرًا يَضُرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**».

وفضائلهم ومناقبهم عظيمة، آووا رسول الله ﷺ ونصروه، ومنعوه، وصدقوه، وعادوا العرب والعجم من أجله، فرفعهم الله ﷻ لذلك.

والمهاجرون: هم من ترك الأهل والأوطان فرارًا بدينهم، وقد ذكر الله تعالىٰ فضلهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة:١١٧].

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:٨-١٠].

قولهؒ: (**بنصرهُمُ عَنْ ظلمةِ النَّارِ زحزحُوا**) أي: زحزحهم الله عن النار ونجاهم منها بسبب نصرهم للنبي ﷺ.

قولهؒ: (**ومن بعدهم التابعون...الخ**) يشير ؒ لما تقدم في الآية السابقة، وما صح عن عبدالله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**» متفق عليه.

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» وَاللهُ أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لا، قَالَ: «**ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا**» متفق عليه.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**» متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ**». أخرجه مسلم.

وهذا من حيث الجملة وإلا فقد وقع في زمن التابعين بدعة النصب والقدر والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغير ذلك، لكن زمنهم في الجملة زمن ظهور للإسلام والسنة.

التحذير من الطعن في الصحابة

قال رحمه الله:

وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بِفَضْلِهِمْ وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ

وبعد التخصيص والتفصيل عمم رحمه الله فيما يجب نحو جميع الصحابة فقال الواجب أن يقول المرء في صحابة رسول الله ﷺ خير الأقوال لأن الله تعالىٰ اصطفاهم لنصرة نبيه، ولنشر دينه قال: عبدالله بن مسعود: إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد فاختار محمدًا ﷺ، فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار له أصحابه، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه ﷺ، فما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح. أخرجه أحمد.

وحرم الله تعالىٰ مشاقتهم، ومخالفة طريقهم قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء:١١٥].

ونهىٰ رسول الله ﷺ عن سبهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**» متفق عليه.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**» أخرجه مسلم.

وأثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الذين اتبعوهم بإحسان وهم مستغفرون لهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

والواجب علينا ذكر محاسنهم، والكف عن مساويهم، وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

قال ابن تيمية في "الواسطية": وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾، وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهُ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**». وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ. وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الأَنْصَارِ. وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ - : «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُوبَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ. وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانُ فِي الْبَيْعَةِ. مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا. لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِه الْمَسْأَلَةُ ـ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ـ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ. لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ ـ وَقَدِ اشْتَكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ ـ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي**». وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بَأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ رضي الله عنها أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِه،

وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ ﵂، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ. وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ. وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ -، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ. وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ. ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ. ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَن نَّظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ،

وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ. انتهىٰ ونقلته بتمامه لنفاسته.

قولهُ: (**وفِي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ**) يشير إلىٰ مثل قول الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨].

وقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[الفتح:٢٩].

وقد توسعت في ذكر فضائلهم وما لهم في شرحي لعقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب النجدي ﵀، وكذا في شرحي للسنة للبربهاري ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإيمان بالقدر

قال رحمه الله:

وبِالقَـــدَرِ المقْـــدُورِ أيْقِـــنْ فإنَّـــهُ   دِعَامَـــةُ عقْـــدِ الدّيـــنِ والدِّيـــنُ أفْـــيَحُ

أي واعتقد بالقَدرِ الذي هو تقدير الله ﷻ للكائنات وهو أحد أركان الإيمان السته قال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨]، وفي حديث عمر عند مسلم: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، وفي حديث ابن عمر: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ**» أخرجه مسلم، وفي حديث علي في "الصحيحين" قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الليل:٥-٦] الآيَةَ.

فعلم من هذا أن الناس سائرون في قدر الله ﷻ وأن الخير والشر منه سبحانه وتعالى.

وأشار رحمه الله إلىٰ ما يجب اعتقاده في باب الإيمان بالقدر، فقد ضل فيه أناس وحار فيه آخرون، والناس في القدر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نفاة القدر، وهم ما يسمون بالقدرية، ويقال لهم: النفاة وهم مجوس هذه الأمة لحديث ابن عمر: عن النبي ﷺ قال «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**». أخرجه أبو داود، وهؤلاء ينقسمون إلىٰ قسمين:

القسم الأول: نفاة العلم، وهم الذين زعموا أن الله لا يعلم الأمور إلا بعد حدوثها، وهؤلاء هم الذين قال ابن عمر فيهم: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر.

وهم الذين يزعمون أن الأمر أنف، وقد ذكر العلماء أن هذه الطائفة اندثرت والله أعلم، قال عمر بن عبد العزيز وغيره: ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا، تقول له: الله يعلم الأشياء قبل وقوعها أو لا يعلمها؟ فإن قالوا: يعلم، خصموا، ولزمهم إثبات القدر، وإن قالوا: لا يعلم كفروا؛ لأنهم كذبوا بقول الله ﷻ: ﴿**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ**﴾[الأنعام:٥٩]، وقول الله تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:٢٩]، إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحاديث.

والثاني: نفاة الخلق الذين يزعمون أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالىٰ، مع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، وفي الحديث: «**اللهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**» في "خلق أفعال العباد" عن حذيفة رضي الله عنه، وهؤلاء ضُلّال المعتزلة ومن إليهم، وشبهتهم: تنزيه الله تعالىٰ - زعموا - ثم هم أيضًا يستدلون بمثل حديث علي رضي الله عنه عند مسلم وفيه «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة، منها: وأما قوله: (والشر ليس

إليك) فمما يجب تأويله لأن مذهب أهل الحق أن كل المحدثات فعل الله تعالىٰ وخلقه سواء خيرها وشرها، وحينئذ يجب تأويله، وفيه خمسة أقوال: أحدها: معناه لا يتقرب به إليك، قاله الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحق بن راهويه، ويحيىٰ بن معين، وأبوبكر بن خزيمة، والأزهري، وغيرهم. والثاني - حكاه الشيخ أبوحامد عن المزني، وقاله غيره أيضًا - معناه: لا يضاف إليك علىٰ انفراده، لا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر، ونحو هذا، وإن كان خالق كل شيء، ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم. والثالث: معناه: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح. والرابع: معناه: والشر ليس شرًّا بالنسبة إليك؛ فإنك خلقته بحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلىٰ المخلوقين. أفاده النووي.

والقسم الثاني: القدرية الجبرية: الذين يزعمون: أن الإنسان مجبور، وليس له اختيار، ولا فعل، ولا استطاعة، ولا إرادة، وهو كالريشة في مهب الريح، أو كالميت بين يدي الغاسل، وهؤلاء ضلال وهم الجهمية والأشاعرة، والأولون: هم المعتزلة.

فالنفاة والجبرية علىٰ طرفي نقيض.

والقسم الثالث: أهل السنة وهم هدىٰ بين ضلالتين، وحق بين باطلين. وسيأتي بيان طريقهم في هذا الباب.

والقدر: هو علم الله وسره لم يطلع عليه نبيًا مرسلًا ولا ملكًا مقربًا، ومراتب القدر أربعة:

الأول: العلم، وذلك أن الله ﷻ يعلم ما كان وما يكون، بل أعظم من ذلك: يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال الله ﷻ مخبرًا عن المشركين، لما طلبوا ردهم

إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام:٢٨]، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٨٢]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾[النساء: ١٢٦].

الثاني: الكتابة، فلما خلق الله تعالى القلم، قال له: اكتب، قال القلم: وما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما يكون، إلى قيام الساعة، أخرجه أبو داوود وغيره عن عبادة رضي الله عنه فجعل القلم يكتب ما كان وما يكون.

وفي حديث عبدالله بن عمرو عند مسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء

إذن فالله يعلم أفعال العباد، ويعلم الكليات والجزئيات، ثم القلم كتب هذه الأمور التي أمره الله بكتابتها قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد: ٢٢].

الثالث: الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، ولا أحد في هذا الكون يستطيع أن يخرج عن مشيئة الله، قال الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠، التكوير:٢٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٦].

الرابع: الخلق، وهي أن الله خلق أفعال العباد، خيرها وشرها، وحلوها ومرها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، وفي الحديث: «**اللهُ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**» أخرجه البخاري في الأدب عن حذيفة رضي الله عنه .

وسبب ضلال أهل البدع في هذا الباب، القدرية النفاة، والقدرية المثبتة أي الجبرية شيء واحد، حيث جعلوا القدر هو محبة الله تعالىٰ.

فاتفقوا علىٰ أن القدر هو محبة الله، ثم اختلفوا، فقالت القدرية النفاة: الله لا يحب الشر، وإنما يحب الخير. فلما قالوا بهذه المقدمة، كانت النتيجة الله ﷻ لا يخلق إلا ما يحب.

إذن: أفعال العباد: الشريرة عندهم ليست من خلق الله؛ لأن الله لا يخلق إلا ما يحب، فالخير من خلق الله، والشر ليس بخلق لله، فإذا قيل لهم: من الذي خلق الشر؟ قالوا: العباد أنفسهم بل انكر بعضهم خلق الله للخير والشر.

إذن: ما سمو مجوس هذه الأمة إلا لهذا، المجوس يزعمون أن للكون خالقين: خالق الخير وهو النور وخالق الشر وهو الظلمة، فهؤلاء وافقوا المجوس، فلهذا جاء في الحديث: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**».

وقالت القدرية الجبرية أتباع الجهم بن صفوان: القدر هو محبة الله، وما من شيء في هذا الكون إلا ويحبه الله، فالنتيجة عندهم الزنا يحبه الله، والكفر يحبه الله، والأصنام يحبها الله، وإبليس يحبه الله، وكل شيء عندهم يحبه الله، فعندهم الطائع والعاصي سواء، حتىٰ ذكر ابن القيم من شناعتهم: أن رجلًا رأىٰ علىٰ امرأته آخر، فقال لها: يا عدوة الله! تفجرين وأنا أنظر، فقالت له: الخيرة فيما اختاره الله، فقال لها: صحيح، الخيرة فيما اختاره الله، وقال: والله لهذه الكلمة منك أحبّ إلي من الدنيا وما فيها.

وآخر رآه سيده وهو على سيدته، فقال له: يا لئيم تفجر بسيدتك؟! فقال له: يا سيدي الخيرة فيما اختاره الله، قال: أنت حر لوجه الله لاعتقادك هذا الاعتقاد!

ويصير الإنسان عندهم ممدوحًا، عبد صنما، أم عبدالله، حتى قال بعضهم:

أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلًا لِمَا يَنْتَابُنِي مِنْهُ فَفِعْلِي كُلُّهُ طَاعَاتُ

واختلفت الجبرية في تعذيب الله ﷻ للكافرين والمجرمين،: قال بعضهم: يعذبهم؛ لأنه أراد لهم العذاب وهم لا يستحقون العذاب! معتقدين لهذا القول الباطل:

وَجَازَ لِلْمَوْلَى يُعَذِّبُ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ وَلَا جُرْمٍ جَرَى

مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[آل عمران:١٨٢].

وقال بعضهم: بل هم مثابون على أي حال، وهذا من أقبح الأقوال حيث يزعمون أن الله يُثيب الكفار المتوعدون بالنار وبئس القرار.

عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر

عقيدة أهل السنة في باب القدر أن الخير، والشر من الله، وأن الله تعالىٰ بكل شيء عليم، وأن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

والقدر ينقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: القدر الشرعي، وهو المرادف للمحبة.

والقسم الثاني: القدر الكوني، وهو المرادف للمشيئة.

والقدر الشرعي يعبر عنه: بالإرادة الشرعية: وهي الأوامر والنواهي، فما أمر الله به شرعًا فهو يحبه، وما نهىٰ الله عنه فهو يكرهه فالصلاة يحبها الله، والزنا يكرهه الله.

والله خالق الخير والشر، والخير مُراد لذاته، والشر مُراد لغيره، وهو واقع بمشيئة الله تعالىٰ وحكمته.

وقسموا الإرادة إلىٰ إرادتين: إرادة شرعية، وإرادة كونية، ومن الفروق بينهما:

الأول: الإرادة الشرعية تكون في المحبوب، والإرادة الكونية تكون في المحبوب وغير المحبوب.

الثاني: الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، فالله يريد الإيمان من الناس شرعًا، ولهذا قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وهذا تحقق من بعض الناس لا كلهم.

الإرادة الكونية: لابد أن تقع، مثاله: أن الله يريد من زيد الإيمان، فلا يتخلف، وأراد من أبي جهل الكفر، هل يمكن لأبي جهل أن يدخل في الإسلام، لا؛ فالإرادة الكونية لابد أن تقع.

والإرادة الكونية هي المعبر عنها بمشيئة الله، ولهذا يقال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قال الشافعي:

مَـا شِـئْتَ كَـانَ وَإِنْ لَمْ أَشَـأْ ... وَمَـا شِـئْتُ إِنْ لَمْ تَشَـأْ لَمْ يَكُـنْ

والإرادة الكونية والشرعية يجتمعان في حق المؤمن الطائع، فالله أراد شرعًا وكونًا من أبي بكر الإيمان، عرفنا ذلك لأن أبا بكر آمن.

وتفترقان في حق الكافر، فالله يحب من الكافر الإيمان، ويريده منه شرعًا، بمعنىٰ أنه أمره به، لكن ما أراد له الإيمان كونًا، ولا وفقه للإيمان لعلمه أنه ليس أهلًا للإيمان.

بقي من يقول: كيف يريد منه الإيمان ولم يوفقه؟

فنقول: الله ﷻ يقول عن نفسه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٦]، ويقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، خلق الخلق وهو أعلم بهم وبمصالحهم، فعلم من هذا الخير فوفقه للخير فضلًا منه، وعلم من ذلك الشر فلم يوفقه عدلًا منه حتىٰ قال بعضهم:

إِنْ عُـذِّبُوا فَبِعَدْلِـهِ، أَوْ نُعِّمُـوا ... فَبِفَضْـلِهِ وَهُـوَ الْكَـرِيمُ الوَاسِـعُ

والخلق ملكه وخلقه، من شاء وفقه وله الحمد والشكر، ومن شاء لم يوفقه وله الحمد على كل حال قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١].

ثم عقلًا لا يجب على من دلك على ما فيه مصلحة نفسك أن يعينك عليه فتنبه تخرج من مزالق أهل الضلال الذين يقولون يجب على الله تعالى فعل الأصلح للعبد.

إثبات فتنة القبر والحوض والميزان

قال رحمه الله:

وَلا تُنْكِـرَنْ جَهـلًا نَكِـيرًا ومُنْكَـرًا   وَلا الحَـوضَ والمِـيزانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ

في هذا إشارة إلىٰ ما يجب عليك اعتقاده، وهي داخلة في الإيمان بالغيب: الإيمان بالملائكة الذي قد ذكر الله من أوصافهم في القرآن العظيم وهكذا رسوله ﷺ في السنة المطهرة ما يتبين به فساد قول الفلاسفة ومن إليهم أن الملائكة ما هي إلا قوىٰ الخير الموجودة في المخلوقات بل هم خلق من خلق الله خلقهم من نور كما في حديث عائشة رض الله عنها قال الله في أوصافهم ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقًا﴾ وقال ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفًا﴾ وهم كما قال الله ﷻ ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ ومنهم حملة العرش ومنهم الموكلون بالقطر ومنهم خزنة النار والجنة إلىٰ غير ذلك والإيمان بهم يكون بالإيمان بهم جملة وأنهم من خلق الله ﷻ ويكون بالإيمان بما علمنا من أوصافهم وأعمالهم ومنها الايمان بمن عرفنا من أسمائهم كجبريل عليه السلام وهو أفضلهم وميكائيل وهو الملك الموكل بالمطر وإسرافيل وانه الملك الموكل بالنفخ في الصور ولهذا كان النبي ﷺ يتوسل إلىٰ الله بربوبيته لهم ففي حديث عائشة عند مسلم أن رسول الله ﷺ كان إذا قال من الليل يقول «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

ولهم أجنحة قال الله ﷻ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾[فاطر: ١] ورأى رسول الله ﷺ جبريل له ستمئة جناح سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض كما صح عن عائشة رضي الله عنها في "الصحيحين" ويدخل في ذلك الإيمان بمنكر ونكير، دلّ على ذلك حديث أبي هريرة عند الترمذي وغيره، ولفظه: قال رسول الله ﷺ إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان أسودان أزرقان (يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

فمنكر ونكير هما الملكان الموكلان بسؤال العبد في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟

ويتفرع من الإيمان بمنكر ونكير الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، والنبي ﷺ علمنا أن نقول بعد التشهد: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**» في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي حديث البراء بن عازب بيان ذلك قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ

وَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَت إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ حَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعْهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ رِيحِ مِسْكٍ، وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ ﷻ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَافْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قال وَأَمَا الْعَبْدُ الْكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ومَعَهُمُ المُسُوحُ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ،

ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ المَوْتِ فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللهِ وَغَضَبِهِ، قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، وَمَعَهَا الْعَصْبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، قَالَ: وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْتَنُ مِنْ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَـــا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأعراف:٤٠] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ: «فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوه إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّا مِنْهَا خَلَقْنَاهُمْ، وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ: فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الحج: ٣١] الْآيَةَ. «ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. قَالَ: فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِي بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا سِوَىٰ هَذَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَرَوَاهُ عِيسَىٰ بْنُ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنِ الْبَرَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ فِيهِ اسْمَ المَلَكَيْنِ فَقَالَ فِي ذِكْرِ الْمُؤْمِنِ: «فَيُرَدُّ إِلَى مَضْجَعِهِ فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ، وَنَكِيرٌ يُثِيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِماْ، وَيُلْحِقَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَاهِهِمَا أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ

وَأَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الخَاطِفِ فَيُجْلِسَانِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ؟» فَذَكَرَهُ.
وَقَالَ فِي ذِكْرِ الْكَافِرِ: «**فَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ يثيرَانِ الْأَرْضَ بِأَنْيَابِهِمَا وَيُلْحِقَانِ الْأَرْضَ بِأَشْفَاهِهِمَا، أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، وَأَبْصَارِهِمَا كَالْبَرْقِ الخَاطِفِ فَيُجْلِسَانِهِ، ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي فَيُنَادَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ: لَا دَرَيْتَ وَيَضْرِبَانِهِ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا مَنْ بَيْنَ الخَافِقَيْنِ لَمْ يُقِلُّوهَا يَشْتَعِلُ مِنْهَا قَبْرُهُ نَارًا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ**». هذا لفظ البيهقي في "الشعب"، وقول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[إبراهيم:٢٧]، قال النبي ﷺ: «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ**» كما في حديث البراء عند البخاري ومسلم.

وعذاب القبر ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، وإنما خالف فيه المبتدعون الضالون من المعتزلة وأصحاب الآراء والأذواق، وأصحاب المحسوسات الذين قالوا: نحن وضعنا الميت في القبر، ووضعنا عليه زئبقًا، وفي اليوم الثاني جئنا وفتحنا عليه القبر فوجدنا الزئبق على صدره لم يتغير ولم يتحول، وأنتم تزعمون أن الملائكة تجلسه في قبره، وأنه يضم، وأنه يفرج قبره، فهؤلاء أصحاب محسوسات، لا يؤمنون بالغيب.

أما نحن أهل السنة بحمد الله تعالى، نؤمن بالغيب بما أخبر الله به، وبما أخبر رسوله ﷺ؛ ومن أقوى الأدلة على إثبات عذاب القبر قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر:٤٦] [١].

---

(١) ومن أراد التوسع: لي رسالة، وموجودة في الموقع: "تنبيه أولي الأبصار بما في القبر من النعيم والعذاب والرد على الرافضة الأشرار" مطبوعة بعنوان "القبر نعيمه وعذابه".

إثبات الحوض

قوله: (وَلا الْحوْضَ) أي: لا ننكر الحوض فيجب أن نؤمن به، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، والكوثر قد فسره النبي ﷺ كما في مسلم قال: «**نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ اللهُ** ﷻ، **وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، والحوض ثابت في الكتاب والسنة.

وطوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وأهل الابتداع يذادون عنه كما قال النبي ﷺ: «**يُذَادُ أُنَاسٌ عَنِ الحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا، بُعْدًا بُعْدًا**»، وقال النبي ﷺ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ حَتَّى يَرْفَضَّ أَهْلُ الْيَمَنِ**» وهذا من فضائلهم، وفضائلهم كثيرة، أَلَّف فيها أخونا الشيخ الذي نرجو له الشهادة: أبوبشير الحجوري كتابًا بعنوان "البيان الحسن في فضائل أهل اليمن". وللشوكاني رحمه الله رسالة في ذلك، وللشيخ مقبل في فضائل أهل اليمن الكثير مضمن في كتبه، وقال النبي ﷺ في شأنهم: «**الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْفِقْهُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**»، «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً**»، وأحاديث الحوض كثيرة ومتواترة حتىٰ قيل:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبْ ... وَمَنْ بَنَىٰ لله بَيْتًا وَاحْتَسَبْ
وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالْحَوْضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

وأقرب مرجع لإثبات الحوض وأدلته كتاب صحيح مسلم في فضائل النبي ﷺ نذكرها هنا للفائدة :

فقد بوب الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ على "صحيح الإمام مسلم": [باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته] ذكر مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تحت هذا الباب هذه الأحاديث وكثير منها مذكورة في كتاب الرقاق من "صحيح البخاري" (باب في الحوض) من حديث رقم (٦٥٧٥) إلى (٦٥٩٣):

عن جُنْدَب يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**».

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**».

وعن عَبْدُالله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشُطُنِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ**»؛ فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرِّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الحَوْضِ؛ فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا**».

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ**

الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا؛ فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**».

وعَنْ عَبْدِاللهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**».

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا؛ أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**».

وعَنْ ثَوْبَانَ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**»؛ فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ؟، فَقَالَ: «**مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ**» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ؟، فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ**».

وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**».

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ، اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ**»؛ وأكثر هذه الأحاديث أخرجها البخاري رحمه الله في صحيحه.

ولي بحمد الله مؤلف في "أحاديث الحوض" يسر الله إتمامه بالنظر فيه يتبين لك أن أحاديث الحوض متواترة، وقد أُفرِدَت أحاديث الحوض من "مسند بقي بن مخلد"، وهو مطبوع.

والمطرودون عن الحوض صنفان أهل بدع ويدل على ذلك ما تقدم في حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم، وحديث أم سلمة رضي الله عنها عند مسلم، وعائشة رضي الله عنها عند مسلم، وأسماء رضي الله عنها عند البخاري ومسلم.

وحديث سهل بن سعد رضي الله عنه عند البخاري ومسلم، وحديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري ومسلم، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عندهما وغيرهما من الأحاديث.

قال ابن عبد البر رحمه الله (٢٠/ ٢٦٢):

كل من أحدث في الدين مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله عز وجل فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وأصحاب الأهواء، وكذلك الظلمة المترفون في

الجور وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع، فكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر . اهـ

وقال عقبه رحمه الله: ولا يخلد في النار إلا كل كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

ويطرد عنه بعض أهل المعاصي ويدل عليه حديث جابر عند الإمام أحمد (٢٢/ ٣٣٢) «**فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكِذْبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الحَوْضَ**».

الإيمان بالميزان

قولهﷺ: (والمِيزانَ) وأيضًا يؤمن أهل السنة، بالميزان، قال الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[القارعة:٦-٩].وهو ميزان حقيقي ومن أصرح الأدلة أيضًا على إثبات الميزان حديث البطاقة، فعن عبدالله بن عمرو بن العاصي يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء. أخرجه الترمذي

وأن له كفتان ولسان، والكفة معروفة، واللسان هو ذلك الذي في أعلى الميزان ويمسك به.

وقد ذهب المعتزلة إلى أن الميزان إنما يحتاجه البقال والثوام، وهذا من جهلهم! فالله ﷻ غني حميد، لكن خلقه لبيان حكمته، وبيان عدله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا

حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧]، وجمعت الموازين بالنسبة للموزونات، وإلا فهو ميزان واحد.

وتوزن الأعمال لحديث: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويوزن العامل لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**أَتَضْحَكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، لَـهُمَا فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**» أخرجه أحمد.

وتوزن الصحف، لحديث البطاقة: على ما تقدم.

مسألة: هل توزن أعمال الكافر؟

الجواب: اختلف العلماء في ذلك:

واستدل الذين يقولون بعدم وزن أعمالهم بقول الله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[الكهف:١٠٥]، والراجح: أنهم يوزنون ولا قيمة لوزنهم.

وترتيبها في القيامة: الحوض، ثم الميزان، ثم تطاير الصحف، وأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله: أين أجدك؟ قال: أول ما تطلبني عند الصراط، فإن لم تجدني فعند الميزان، فإن لم تجدني فعند الحوض) أخرجه الترمذي فليس فيه ترتيب.

وجاء عن أنس بن مالك أن عبيد الله بن زياد قال: يا أبا حمزة: هل سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر الحوض؟ فقال: لقد تركت بالمدينة العجائز يكثرن أن يسألن الله أن يوردهن حوض محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. أخرجه الآجري وغيره.

الإيمان بالصراط

ومن هذا الباب الإيمان بالصراط وهو الجسر الممدود على متن جهنم يجوزه المؤمنون قال تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[مريم: ٧١-٧٢] وفي حديث حذيفة وأبي هريرة عند مسلم (١٩٥): «**يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**».

ولا يجوز عليه غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد: ١٣].

وقد جاءت أوصافه في غير ما حدث، منها: ما أخرجه البخاري (٨٠٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ **وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ المُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى. الحديث**

قوله: (**إنك تنصح**) دلالة إلى أن الدعوة إلى الخير هو من باب النصيحة قال الله ﷻ عن نوح ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢] وقال عن هود عليه السلام ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف: ٦٨] وقال عن صالح ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف:٧٩] وفي حديث أبي رقية تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» أخرجه مسلم. وفي حديث جَرِيرٍ، قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. أخرجاه.

إخراج الموحدين من النار

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ العَظــيمُ بِفَضـــلِهِ   مِــن النــارِ أجْســادًا مِــن الفَحْــمِ تُطْــرَحُ

أي اعتقد وآمن بخروج الموحدين من النار، وانهم يخرجون بفضل الله ورحمته لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يقولون: من دخل النار لا يخرج منها، فعند المعتزلة: أن فاعل الكبيرة منزلة بين منزلتين، في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار، والخوارج يقولون: هو في الدنيا كافر، وفي الآخرة يخلد في النار، ويستبيحون دماء المسلمين بهذا الزعم، ويستدلون بمثل قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٨]، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة:١٦٧]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[آل عمران:١٩٢]، وهذا في حق الكفار كما بينه جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في مسلم عن يزيد الفقير قال : كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج علىٰ الناس قال فمررنا علىٰ المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم جالس إلىٰ سارية عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[آل عمران:١٩٢]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[السجدة:٢٠] فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال أتقرأ القرآن؟ قلت نعم قال فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام (يعني الذي يبعثه الله فيه؟) قلت نعم قال فإنه مقام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غير أنه

قد زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد.

وأهل السنة: يؤمنون أنّ أصحاب المعاصي فيما دون الشرك تحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم ثم مآلهم إلى الجنة، وإن شاء غفر لهم ابتداءً: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ١١٦]، ومن أقوى الأدلة في ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُدْخِلُ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، أَوِ الحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟**»، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ. أخرجه مسلم (١٨٥).

فنحن نؤمن أن من دخل النار وهو من الموحدين بسبب ذنوب اقترفها أن مآله إلى الجنة.

قوله: (**مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ**) أي: تطرح في نهر الحياة. على ما تقدم بيانه فتنبت كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل على ما يأتي.

قال رحمه الله:

عَلَى النَّهـرِ فِي الفِـردوسِ تَحْيـا بِمَائِـهِ كَحَـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إِذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

أي: نهر الجنة كما صحت به الأحاديث؛ والفردوس من أسماء الجنة وعلى التخصيص هو أعلى الجنة، ففي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**» ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ** - أُرَاهُ - **فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**».

قوله: (تحيا بمائه) أي: تعود فيه الحياة بعد هذه الإماته، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، وقال: «**أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟**» يعني: الحبة في حميل السيل عند أن تكون تحت صخرة تخرج صفراء ملتوية وهي معروفة، والمراد بحميل السيل ما يحمله السيل أي الماء الجاري بعد المطر من الحبوب وغيرها.

فكذلك المؤمنون يطرحون في نهر الحياة فينبتون، وتعود لهم الحياة، نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار، وآمنا بما أخبر الله به، وبما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا تعارض بين ما ذكر هنا وبين قول الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[الأعلى: ١٣] فإن ذلك في حق الكفار.





الإيمان بوجود الجنة والنار الآن

تتمة يذكر هنا من باب الفائدة أن الجنة والنار موجودتان الآن الجنة في السماء السابعة والنار في الأرض السفلى وانهما لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان لأن الله خلقهما للبقاء لا للفناء.

ومما يدل على وجودهما الأن قول الله ﷻ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤]، وقوله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾[غافر: ٤٦]، فهم يعرضون على النار الآن. وجميع أدلة اثبات عذاب القبر ونعيمه تدل على معتقد أهل السنة في وجود الجنة والنار الآن خلافًا للمعتزلة ومن إليهم من أهل البدع الذين يزعمون أن وجودها الآن عبث وكذا قد صح عن النبي ﷺ في أحاديث عدة في خطبة الكسوف أنه رأى الجنة والنار، فمنها:

حديث جابر عند مسلم (٩٠٤): قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَصَلَّىٰ رَسُولُ الله ﷺ بِأَصْحَابِهِ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، حَتَّىٰ جَعَلُوا يَخِرُّونَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا مِنْ ذَاكَ، فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا**

لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُرِيكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ».

ومثله عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري (١٠٤٦) ومسلم (٩٠١)، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَى المَسْجِدِ، فَقَامَ وَكَبَّرَ، وَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»، ثُمَّ قَامَ، فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَدْنَىٰ مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَىٰ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا هُوَ أَدْنَىٰ مِنَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»، ثُمَّ سَجَدَ - وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطَّاهِرِ: ثُمَّ سَجَدَ - ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُخْرَىٰ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ**»، وَقَالَ أَيْضًا: «**فَصَلُّوا حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَنْكُمْ**»، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ - وقَالَ المُرَادِيُّ: أَتَقَدَّمُ - وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**». وَانْتَهَىٰ حَدِيثُ أَبِي الطَّاهِرِ عِنْدَ قَوْلِهِ: «**فَافْزَعُوا لِلصَّلَاةِ**»، وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

وأصرحها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ.**

قَالَ: **فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا**» رواه أبوداود (٤٧٤٤).

والجنة مستقر أولياءه والنار مستقر اعداءه ومما يدل على أنهما لا يفنيان قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[البينة: ٨]، وحديث أبي سعيد عند البخاري ومسلم قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾[مريم: ٣٩]، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[مريم: ٣٩].

ولم يقل بفنائهما إلا الجهمية الضلال وقد كفرهم العلماء بسبب قولهم هذا ففي السنة لعبدالله بن أحمد قَالَ: سَمِعْتُ خَارِجَةَ، يَقُولُ: كَفَرَتِ الجَهْمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ الله ﷻ، قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى، وَقَالَ اللهُ ﷻ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[ص: ٥٤]، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْفَدُ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَالَ ﷻ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[الرعد: ٣٥]، فَمَنْ قَالَ: لَا يَدُومُ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَالَ ﷻ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٨]، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَالَ: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[الواقعة: ٣٣] فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ.

إثبات الشفاعة للنبي ﷺ

قال رحمه الله:

فَــإِنَّ رَسُــولَ اللهِ للخَلــقِ شَــافعٌ وقُــلْ فِي عَــذابِ القَــبرِ حــقٌّ مُوضَّــحُ

هذه إشارة إلى مسألة شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ وأهل الملة متفقون على إثبات الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود، الذي قال الله عنها: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩]، فهذا النوع من الشفاعة يثبتها أهل السنة والمعتزلة والخوارج والرافضة وغيرهم، لكن اختلف أهل السنة مع غيرهم من أهل البدع والضلال، في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر:

فذهبت الرافضة والمعتزلة والخوارج ومن وافقهم إلى أن الشفاعة ليست في أهل الكبائر، واستدلوا بحديث: (ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، وهذا حديث باطل ليس له أصل في الكتب المعتمدة، وإنما الحديث المحفوظ حديث أنس رضي الله عنه، وقد استوعب تخريجه وبين صحته شيخنا مقبل رحمه الله في كتابه الشفاعة ولفظه: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»، وفي حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصفُ أُمَّتِي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتَرَوْنَهَا لِلمُتَّقِينَ؟! لَا، وَلَكِنَّهَا لِلمُذْنِبِينَ، الخَطَّائِينَ، المُتَلَوِّثِينَ**».

فنؤمن بأحاديث الشفاعة: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**» متفق عليه، ومن قال: بعد الأذان: «**اللهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ**

التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ» أخرجه البخاري كان ذلك من أسباب شفاعة النبي ﷺ له.

ويشفع النبيون والمؤمنون والملائكة، ورب العالمين سبحانه وتعالى يتفضل بعد ذلك على من يشاء، فعن أبي سعيد رضي الله عنه عند مسلم (١٨٣) «**فَيَقُولُ اللهُ** عز وجل: **شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «**فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**» وتكون الشفاعة العظمىٰ في الفصل بين العباد، وفي حديث أنس في "الصحيحين" قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ** ﷺ، **فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ**

فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ، أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». هَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ الَّذِي أَنْبَأَنَا بِهِ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرِ الْجَبَّانِ، قُلْنَا: لَوْ مِلْنَا إِلَى الْحَسَنِ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ فِي دَارِ أَبِي خَلِيفَةَ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَبِي حَمْزَةَ، فَلَمْ نَسْمَعْ مِثْلَ حَدِيثٍ حَدَّثَنَاهُ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: هِيَهِ، فَحَدَّثْنَاهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: هِيَهِ قُلْنَا: مَا زَادَنَا، قَالَ: قَدْ حَدَّثَنَا بِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ يَوْمَئِذٍ جَمِيعٌ، وَلَقَدْ تَرَكَ شَيْئًا مَا أَدْرِي أَنَسِيَ الشَّيْخُ، أَوْ كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ، فَتَتَّكِلُوا، قُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، فَضَحِكَ وَقَالَ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[الأنبياء: ٣٧]، مَا ذَكَرْتُ لَكُمْ هَذَا إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ، «**ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ - أَوْ**

قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ - وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

ومن أنواع الشفاعة الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة، فإنه لا يفتح باب الجنة إلا النبي ﷺ قال: «**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**» أخرجه مسلم (١٩٧) عن أنس رضي الله عنه.

وتكون الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار على ما تقدم، وتكون الشفاعة برفع درجات بعض المؤمنين في الجنة، وهذا النوع تثبته المعتزلة أيضًا. وتكون الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما في حديث ابن عباس عند الشيخين: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

وقد تكلم ابن أبي العز عن هذه الأقسام في كتابه "شرح العقيدة الطحاوية".

والشفاعة المنفية هي شفاعة الأصنام، وشفاعة الأوثان، والشفاعة للكافرين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨].

فأما شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب فليست من هذا الباب، فإنها شفاعة مقيدة ولا يخرج بها أبو طالب من النار وإنما يخفف عنه العذاب، للدور الذي قام به في الدفاع عن النبي ﷺ ونصرته.



الإيمان بعذاب القبر

قال رَحِمَهُ اللهُ:

.... وقُلْ فِي عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ

عذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع قال الله عَزَّوَجَلَّ في شأن قوم فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦]، وقال: ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الواقعة:٨٦-٩٦].

إثبات عذاب القبر تقدم الكلام عليه، وقد ألفت فيه بحمد الله كتابًا مطبوعًا، ونزيد ما جاء في حديث عائشة (عذاب القبر حق) متفق عليه، وقال في حديث أبي هريرة: (إذا تشهد أحدكم فاليستعذ بالله من أربع: من عذاب جنهم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال) متفق عليه.

وفي حديث عائشة في "الصحيحين" عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَغْرَمِ وَالمَأْثَمِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِ القَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي**

مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ». وفتنة القبر هو السؤال: «**مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟**» ولا يسلم منها أحدٌ إلا من استثناه الدليل، وهم الأنبياء؛ لقول الرسول ﷺ: «**فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ**» أخرجه أحمد عن عائشة رضي الله عنها. والشهداء لقول النبي ﷺ: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رُءُوسِهِمْ فِتْنَةً**» أخرجه النسائي. والصديقون؛ لأنهم أفضل من الشهداء. والمرابطون؛ لما صح عند مسلم عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**». وفي القبر ضمة لا يسلم منها الأنبياء، ففي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**».

حكم تكفير المسلم العاصي

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا تُكْفِـرَنْ أهْـلَ الصَّـلاةِ وإنْ عَصَـوا فكلُّهُـمُ يَـعْصِي وذُو العَـرشِ يَصْـفَحُ

كما أشار رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا البيت إلى عقيدة أهل السنة في أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ومن كان من أهل الصلاة وأهل القبلة لا تكفرهم بمجرد وقوع المعاصي منهم، فالتكفير بالمعاصي والكبائر منهج الخوارج، وليس منهج أهل السنة والجماعة، فأهل السنة إنما يكفرون من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وسبب ضلال الخوارج: أنهم عمدوا إلى أدلة الوعيد، ولم ينظروا في أدلة الرجاء، ولم يجمعوا بين الأدلة، وهذا مذهب يضل به كثير من الناس، فالمرجئة عمدوا إلى أدلة الرجاء، وتركوا أدلة الوعيد، والقدرية عمدوا إلى أدلة: تنزيه الله عن الشر، ولم ينظروا إلى أدلة الخلق وأدلة المشيئة.

والجبرية لم ينظروا إلى أدلة استطاعة العبد، وفعل العبد، وذهبوا إلى أدلة المشيئة والإرادة الكونية وزعموا أن العبد مجبور، وأنه كالريشة في مهب الريح.

وهكذا كل طائفة تضل من هذا الباب، بسبب عدم الجمع بين أدلة الكتاب والسنة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ لأنها وحيٌ يوحى.

فضلال الخوارج بيِّنٌ واضحٌ، وذلك أنهم عمدوا إلى معاصٍ سماها رسول الله ﷺ كفرًا، وفسوقًا، وإلى أدلة قال فيها الرسول ﷺ «**لَيْسَ مِنَّا**» فظنوا أن هذه الأدلة يراد بها التكفير، مع أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**» متفق

عليه عن أبي ذر رضي الله عنه، ولم يكن هذا تكفير له، وقال: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقد بين الله عز وجل أن قتال المؤمنين فيما بينهم ليس بكفر ناقلٍ عن الملة بقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾[الحجرات:٩]، فسماهم مؤمنين مع إثبات القتال بينهم، ويقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إِذَا الْتَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**» متفق عليه عن أبي بكرة رضي الله عنه، ولو كان مرتكب الكبيرة يكفر لكان حده الردة مطلقًا، مع أن الزاني حده الرجم إن كان محصنًا والجلد إن كان ثيبًا.

والسارق حده القطع، والقاذف حده الجلد، وشارب الخمر حده الجلد، فلو كان كما يقول هؤلاء الضالون المبتدعون لكان حد الجميع القتل ردة لا حدًا.

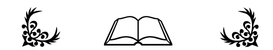
فتنبه لهذا الأمر فإنه أمر مهم يُعرَف به ضلال أهل البدع في هذا الباب.

قوله رحمه الله: (**فكلهم يعصي**) يشير إلى حديث أبي ذر عند مسلم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا**

نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**» أخرجه مسلم.

وسبب ضلال المرجئة والخوارج بهذا الباب، أنهم جعلوا الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، فلما كان من عقيدة الخوارج أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فالعشرة إذا نقص منها واحد كانت تسعة ما تقول عشرة، والمرجئة قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، إذًا المعاصي لا تؤثر في الإيمان، فصار الخوارج والمرجئة طرفي نقيض، بينما أهل السنة يثبتون: أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن المعاصي تؤثر بحيث ينقص معها الإيمان.



مسألة تارك الصلاة

هذه المسألة أختلف فيها العلماء بعد اتفاقهم علىٰ أن من تركها جاحدًا فهو كافر، فذهب جمهورهم علىٰ أن من تركها غير جاحدٍ لها وإنما تكاسلًا عنها فليس بكافر كفر أكبر مخرج من الملة، مع اتفاقهم علىٰ قتله وذهب جمهور الحنابلة إلىٰ كفر تارك الصلاة كفر أكبر مخرج من الملة، وهذا القول هو الصحيح لما يأتي، وقد نقل إسحاق بن رهويه الإجماع علىٰ كفر تارك الصلاة وكذا ابن القيم وغيرهم.

يقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:١١]، فمفهوم الآية أنهم إذا تركوا الصلاة ليسوا بأخوة لنا.

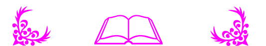
وفي حديث جابر عند مسلم: بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.

وفي حديث بريدة عند الترمذي: قال رسول الله ﷺ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر.

وفي حديث أبي سعيد في الشفاعة أن النبي ﷺ يعرف من في النار من أمته بواضع السجود.

وفي حديث حذيفة في مسلم أن النبي ﷺ يعرف أمته في أرض المحشر بمواطن الوضوء فأي سجود وأي وضوء عند تارك الصلاة حتىٰ يعرف به.

إلىٰ غير ذلك مما ليس هذا موطن بسطه.





إثبات العرش

وفي البيت إشارة إلىٰ اثبات عرش الله ﷻ وهو عرش عظيم استوىٰ عليه جل وعز قال تعالىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، أي: علا وارتفع وصعد واستقر، كما هو تفسير السلف.

و بإثبات الاستواء يثبت لله ﷻ صفة العلو، أي: علو الذات علىٰ العرش الذي تواترت الأدلة علىٰ إثباته، علىٰ ما هو مقرر في موطنه، والعرش أعلىٰ المخلوقات لقول النبي ﷺ يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ** - أُرَاهُ - **فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

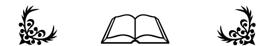
وهو أكبر المخلوقات، قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩]، وفي قراءة قوله تعالىٰ: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ المَجِيدِ﴾ بجر (المجيد) يكون المراد به العرش الواسع، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**» أخرجه مسلم عن جويرية، فلو كان ثَّمت مخلوق أكبر من العرش لذكره ﷺ.

وله قوائم كما في حديث أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى**»

أخرجاه في "الصحيحين". خلافًا للفلاسفة ومن إليهم ممن لا يثبتون العرش ويُحمل قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٧]، وفي الحديث عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ المَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ**»

وقد توسعت فيما يتعلق بهذه المسألة في كتابي شرح أصول السنة لابن أبي زمنين.

ومن هذا الباب إثبات الكرسي قال الله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال (الكرسي موضع قدمي الرحمن) وهذا الأثر مما لا مجال للعقل فيه وفيما تقدم من الأدلة رد علىٰ من زعم إن العرش هو الملك والكرسي هو العلم.



بيان عقيدة الخوارج

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا تَعتقِدْ رَأيَ الخَوارجِ إنَّهُ   مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ

الخوارج من الفرق الضالة التي تكفر المسلمين وتستبيح دمائهم وأموالهم، ورأي الخوارج مذموم، فاضح لأصحابه، سماهم رسول الله ﷺ «**كِلَابُ النَّارِ**» أخرجه أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه، وسماهم رسول الله ﷺ «**شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ**» أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، وقال عنهم رسول الله ﷺ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ**» وفي بعضها: «**قَتْلَ ثَمُودَ**» متفق عليه عن أبي سعيد رضي الله عنه، وقال: «**قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**» متفق عليه عن علي رضي الله عنه وغيره.

وذمهم ثابت بالكتاب والسنة، فلا تعتقد رأيهم، ولا تكفر المسلمين، وإنما من وقع منهم في معاصي وإجرام فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهذا المنهج الخارجي تستباح به الدماء والأعراض والأموال، وما رأيتموه ورآه الناس وسمعتموه وسمعه الناس مما حصل في بلاد الجزائر وغيرها لأكبر برهان علىٰ ضرر الخوارج، فلهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (أأذهب إلىٰ معاوية في الشام، وأدع هؤلاء في ذراري المسلمين). فيتعين قتال الخوارج الممتنعين الباغين قبل قتال الكافرين؛ لأن الخوارج علىٰ مر التاريخ فتكهم بالإسلام وأهله، ومن يؤمنه الإسلام، ومن هو في ذمة الإسلام، ولا توجد لهم مواقف ضد اليهود والنصارىٰ، وإن تكلموا بأفواههم، والواقع أكبر شاهد: أنهم عملاء لليهود والنصارىٰ، عملاء

إما بلسان المقال أو الحال، وهم أصحاب الشعارات الرنانة، البعيدة عن الواقع، فلهذا لما قالوا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام:٥٧]، قال: كلمة حق أريد بها باطل.

فالبعد البعد عن مذهبهم ومنهجهم والتحذير منه، وإيانا وغلوهم في التكفير، فإنه غلو يؤدي إلى مخالفة هدي السلف، وإلى مخالفة الطريق المستقيم، فالتكفير خطره كبير، ولهذا قال بعض السلف: لئن أخطئ وأقول في كافر: بأنه مؤمن أهون عندي بأن أقول لمؤمن أنه كافر، والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَذَلِكَ وَإِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**» أخرجاه عن ابن عمر رضي الله عنه.

وهو مقال من تشغف فيه أرداه وقلّ ورعه، وقلّ حياؤه، وقلّت رحمته، قتلوا امرأة خباب وبقروا بطنها، وفعلوا الأفاعيل الشنعاء، وكفروا أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن باب أولى تكفير غيرهم، فمنهجهم خطير بائر، رأسهم وذروتهم تكلم وطعن في رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي منهجه وطريقته، وقال له: إعدل، انظر إلى قلة أدبهم مع صفوة الخلق، ولا تغرك عباداتهم، وهذا في خوارج ذاك الزمان، أما خوارج زماننا فمن أسقط الخلق، لا صلاح ولا عبادة، ولا علم، ولا حلم، ولا شيء، وانظر أولئك، قال فيهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

وفي آخر كتاب الزكاة من صحيح مسلم شيءٌ من مساوئهم وصفاتهم.

ويجب هجرهم والتحذير منهم، وإقامة الحجة عليهم، وزجرهم عن باطلهم، ولا تجوز مصالحتهم، ولا إعطاءهم الأموال والمساعدات، فإن ذلك مما يعين على نشر باطلهم.

وقد بينت ووجهت المسلمين إلى طرق التعامل معهم في رسالته: توجيه المسلمين إلى الطرق الشرعية في التعامل مع الخوارج من أصحاب تنظيم القاعدة، والرافضة الحوثيين.

بيان عقيدة المرجئة

قال رحمه الله:

ولا تَــكُ مُرْجِيًّـا لَعُوبًـا بِدِينِـهِ   ألا إنَّمَـا المُـرْجيُّ بـالدِّينِ يَمْـزَحُ

الإرجاء هو التأخير، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ١٠٦]، وهم فرقة مبتدعة ظهرت أزاء الخوارج.

فإذا حَذِرتَ منهج الخوارج، وأقبلت علىٰ الطاعات والقربات، وعرفت خطر المعاصي والسيئات، لا يحملك ذلك علىٰ أن تعتقد منهج المرجئة المذموم الحقير، الذي يُجرِّئ علىٰ المعاصي والسيئات، ويُجرِّئ علىٰ البدع والخرافات ويُجرِّئ علىٰ الشركيات حتىٰ قال إبراهيم النخعي: لأنا من مذهب المرجئة أخوف علىٰ هذه الأمة من عدتهم من الخوارج.

والمرجئة ينقسمون إلىٰ أربعة أقسام:

مرجئة الجهمية: الذين يزعمون أن الإيمان هو المعرفة فقط، فلازم قولهم أن إبليس مؤمن، وفرعون مؤمن؛ لأنهم وإن تلفظوا بالكفر وقالوا به، واعتقدوه، وكانوا رأس الكفر إلا أنهم يعرفون الله بقلوبهم.

وإبليس يقول: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر:٣٩]، حتىٰ قال ابن أبي العز وغيره بمعنىٰ كلامهم: أدخل جهم إبليس في الإسلام وأخرج نفسه من الإسلام؛ لأن إبليس يعرف ربه وجهم بن صفوان لا يعرفه، جهم يقول: ربي لا فوق ولا تحت ولا

داخل ولا خارج، ولا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت، ولم يثبت لله صفة، وإبليس يقول: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾[ص:٨٢]، ويقول: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾[الحجر: ٣٩].

وقالت الماتريدية: الإيمان اعتقاد القلب فقط، ونطق اللسان شيء زائد.

وقالت الكرامية: الإيمان قول اللسان، وهؤلاء يلزمهم أن يكون المنافقون مؤمنون كاملو الإيمان.

وقالت مرجئة الفقهاء كأبي حنيفة وحماد بن أبي سليمان، والطحاوي ومن سار على سيرهم:

الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، وأخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان مخالفين للأدلة القرآنية والأحاديث المروية والآثار السلفية.

والأعمال داخلة في مسمى الإيمان، يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٧]، والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**» متفق عليه. والنبي ﷺ يقول: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفق عليه عن أنس

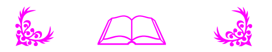
رضي الله عنه. ويقول: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**» متفق عليه، فالأعمال داخلة في مسمىٰ الإيمان، وإخراجها عن مسمىٰ الإيمان إرجاء وفي هذه الأيام ظهر مذهب خامس يزعم أن الأعمال شرط كمال في الإيمان، ومن ترك عمل الجوارح بالكلية فهو كافر كما بينت ذلك في مقدمة كتابي الإيمان الكبير.

وأصل الإرجاء ترك الاستثناء في الإيمان كما قال ابن مهدي، يقولون: إذا قلت: أنا مؤمن إن شاء الله، أنت شاك في إيمانك وأنت كافر، بينما أهل السنة يرون استحباب الاستثناء لا علىٰ الشك، فالشك لا يجوز في الإيمان، وإنما علىٰ ما يختم لهم أو علىٰ الكمال، أو علىٰ التبرك بذكر اسم الله تعالىٰ. وقد جاء الاستثناء في قول الله ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[الفتح: ٢٧]، وقد علم أنهم داخلون والنبي ﷺ لما زار القبور قال «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**».

وذهب قوم إلىٰ وجوب الاستثناء، وهذا قول غير صحيح، والمذهب الحق هو التفصيل: وهو استحباب الاستثناء في الإيمان: أنا مؤمن إن شاء الله، أنا من أهل الجنة إن شاء الله، أو أرجو علىٰ تنوع في عبارات السلف.

قال أحدهم لعبدالله بن مسعود: أنا مؤمن، قال له عبدالله بن مسعود، قل: أنا في الجنة قال: كما استثنيت في الأولىٰ استثن في الثانية.

وقد وضح هذه الأقوال وبيان الحق فيها الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه الإيمان، وقد حققته بحمد الله تعالىٰ؛ وعلقت عليه بما نرجو أن يزيد به نفعًا وتوضيحًا.





عقيدة أهل السنة في الإيمان

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وقُــلْ إنَّمــا الإيمــانُ قَــوْلٌ ونيَّــةٌ وفِعْــلٌ عَلَى قَــولِ النــبيِّ مُــصَرَّحُ

هذا هو معتقد أهل السنة في الإيمان والإيمان لغة الإقرار وفي الشرع هو قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وبعضهم يكتفي بتعريفه (قول وعمل) والمراد: قول القلب وهو إقراره.

وقول اللسان وهو نطقه وعمل القلب الذي هو نيته وتوكله وخوفه وغير ذلك وعمل والجوارح. وهذه مخالفة لمعتقد الخوارج والمرجئة ومن على شاكلتهم من الضلال وقد نقل الإجماع على قول أهل السنة في الإيمان الشافعي رَحِمَهُ اللهُ والبغوي في شرح السنة ونقله عنهم شيخ الإسلام في كتاب الإيمان ويدل على تعريف أهل السنة للإيمان حديث أبي هريرة عن مسلم «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» فذكر الحياء الذي هو فعل القلب والشهادة التي هي نطق اللسان واعتقاد القلب وإزالة الأذى الذي هو فعل الجوارح.

قِيل لعبدالله بن المبارك، يقولون: إنك مرجئ، قال: المرجئة لا يقبلونني، فأنا أقول الإيمان يزيد وينقص، وأنا أقول الإيمان قول وعمل.

وهكذا الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ نقول: المرجئة لا تقبله؛ لأنه هدم مذهبهم وبين عوارهم، فاعتقاده في الإيمان هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

قال رحمه الله:

ويَــنْقُصُ طَــوْرًا بالمعَــاصِي وَتَــارةً   بطَاعَتِــهِ يَــنْمِي وفي الــوَزنِ يَــرْجَحُ

هذا بيان منه لمعتقد السلف في زيادة الإيمان، ونقصانه، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤]، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»، وفي الحديث الآخر: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». وقال النبي ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**». وقوله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾[المدثر:٣١]، ﴿**وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا**﴾[الأحزاب:٢٢]، فالإيمان يزيد بالطاعات والمبرات، وينقص بالمعاصي والسيئات.

والإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، تقول: أنا مؤمن مسلم، فالإسلام يراد به الأعمال الظاهرة، والإيمان يراد به الأعمال الباطنة، فإذا قلت: أنا مؤمن فالمراد بالإيمان: الإسلام والإيمان، وإذا قلت: أنا مسلم، المراد به الإيمان والإسلام، الأعمال الظاهرة والباطنة يدل على ذلك أن الله ﷻ يقول ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، وفي حديث عمر عند مسلم (٨) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**». فسمى الإيمان، والإسلام، والإحسان دينًا.

وفي حديث ابن عباس عند الشيخين إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟ - أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ -**» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِالله وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ، وَرُبَّمَا قَالَ: المُقَيَّرِ. وَقَالَ: «**احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ**».

وجوب الأخذ بالدليل وترك آراء الرجال

قال رحمه الله:

وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وَأَشْرَحُ

وهذه النصيحة ختم بها الإمام عقيدته، وقصيدته، فانتبه أيها المسلم واستفد منها.

قوله: (**فدع عنك**) أي: اتركها وأهجرها وباينها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[الأنعام: ٦٨].

قوله: (**آراء الرجال**) أي: أقوالهم المبنية على الرأي المحض المخالف للدليل، قال الأوزاعي: عليك بآثار من سلف، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول.

عليك بالخبر، عليك بالدليل، فإن فيه نجاة وهو الموصل إلى سواء السبيل، وفي "الصحيحين" عن سهل بن حنيف قال: اتَّهِمُوا رَأْيكُمْ، رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ، وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لِأَمْرٍ يُفْظِعُنَا، إِلَّا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا.

وفي البخاري عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ اسْتِلاَمِ الحَجَرِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ. قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ زُحِمْتُ، أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتُ، قَالَ: اجْعَلْ أَرَأَيْتَ بِاليَمَنِ، رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ.

وفي "الصحيحين" واللفظ للبخاري: عن عبدالله بن عمرو قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَىٰ نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ».

وكان السلف يسمن المخالفين للكتاب والسنة بالهوىٰ أصحاب الرأي.

وفي الأثر: أصحاب الرأي أعداء السنن.

وقوله رحمه الله: (**فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكىٰ**) أي أطهر وأفضل؛ لأنه من عند الله ﷻ وما كان عند الله فهو الخير العظيم والسبيل القويم والطريق المستقيم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام:١٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء: ٣٦]، فهذه طريقة رسول الله ﷺ.

وقوله رحمه الله: (**وَأَشْرَحُ**) أي: أشرح للصدور؛ لأنها الحق الذي لا لبس فيه ولا باطل.

الحذر من الطعن في أهل الحديث

قال رحمه الله:

وَلا تَــكُ مِــن قــوْمٍ تَلَهَّــوْ بِــدِينِهِم فَــتَطْعنَ في أَهَــلِ الحَــدَيثِ وتَقْــدَحُ

وهذا تحذير من أقوام من أهل البدع والضلال الذين (**تَلَهَّوْ بِدِينِهِم**) ويصيرونه على أهوائهم وأرآئهم وأوصلتم هذه الطريقة إلى الطعن في الصحابة ومن على طريقتهم وثم ختم بهذه النصيحة الطيبة وهي التحذير من الطعن في أهل الحديث بعد تحذيره من الرأي المذموم.

قُلْ لِـمَنْ عَانَدَ الْحَدِيثَ وَأَضْحَىٰ عَائِـــبًا أَهْلَـــهُ وَمَـــنْ يَدَّعِيـــهِ
أَبِعِلْـــمٍ تَقُـــولُ هَـــذَا أَبِـــنْ لِي أَمْ بِجَهْلٍ فَالْجَهْلُ خُلْقُ السَّفِيهِ
أَيُعَـابُ الَّـذِينَ هُـمْ حَمَلُـوا الدِّيـ ـــنَ مِـنَ التُّرَّهَـاتِ وَالتَّمْوِيـهِ
وَإِلَىٰ قَـــوْلِهِمْ وَمَـــا قَـــدْ رَوَوْهُ عَائِـــدٌ كُـــلُّ عَـــالِمٍ وَفَقِيـــهِ

كل عالم، كل فقيه، كل محب للإسلام، كل مريد لطاعة الرحمن عائد إلى قول أهل الحديث، وإلى نقولات أهل الحديث، وإلى اعتقاد أهل الحديث، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير الجميل فهو على غير السبيل.

وأهل الحديث هم: أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، بهم يستنير السائر في الظلمى، هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، كما قال النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ**

كَذَلِكَ» وهم أهل الحديث بنصوص السلف، فالطعن في أهل الحديث ضرر، ومن علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، ومن طعن فيهم وفي طريقتهم فإنه على غير سبيلهم، وعلى غير طريقهم، وإذا رأيت الرجل يطعن في أهل السنة، فاعلم أنه على غير طريقهم، وقد اختبر السلف بأسلافهم، ففي الحديث عن علي ﵁ قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»، وفي الأنصار: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ**»، وقالوا في مكحول: من تكلم في مكحول فاتهموه على الإسلام. من تكلم في حماد فاتهموه على الإسلام، من تكلم في أحمد فاتهمه على الإسلام.

وقد تكلمنا على هذه المسألة بتوسع في كتاب "الخيانة الدعوية حجر عثرة في طريق الدعوة السلفية".

بل يجب علينا أن نثني على أهل الحديث ونذكرهم بالجميل، وندعو لهم بهم حفظ الله الدين، وبهم أزال الله البدع والضلالات، وبصر الله بهم من العمى وهدى بهم من الضلالة، فالثناء عليهم دعوة إلى الخير ودلالة إليه، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» أخرجه مسلم (١٨٩٣) عن أبي مسعود ﵁. وهو من الشكر، والنبي ﷺ يقول: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**» أخرجه أبوداود (٤٨١١). ومن الرد عن عرض الأخ، وفي الحديث: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» إلى غير ذلك، والحمد لله.

خاتمة الرسالة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا مَا اعتقَدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه ... فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وتُصْبِحُ

وختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المنظومة بالحث علىٰ اعتقاد الحق الذي تضمنته من بيان طريقة السلف الصالح في باب المعتقد فيقول: إذا أنت اعتقدت هذا المعتقد الطيب المبارك، المدعم بالآيات والأحاديث الذي هو عقيدة السلف إن شاء الله تصير علىٰ خير، إذا كان دينك الدليل، والتمسك بحبل الله وإتباع الهدىٰ، وإتباع السنن والآثار، والبعد عن الآراء والأهواء، باعتقاد ما اعتقده المسلمون الأولون من المهاجرين والأنصار، فأنت إن شاء الله علىٰ خير وعلىٰ طريق قويم، وعلىٰ صراط مستقيم، ومن دعاة الهدىٰ ومن المتصدين للردىٰ.

فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرحم أبا بكر بن أبي داود، وأن يجزل له المثوبة، وأن يرحم جميع أهل السنة، أهل الحديث والأثر، أهل الخير والبر، وأن يعلي درجاتهم، وأن يمكن لدعوتهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

يقول في آخرها هذا اعتقاد أحمد بن محمد بن حنبل، ومن نقل عني غير ذلك فهو كاذب، وكأنه -والله أعلم- رد بهذه العقيدة علىٰ شيء أشيع عنه، فلا ينبغي للمسلم إذا أشيع عنه ما ينقاض ما هو عليه من الخير والبر أن يسكت بل عليه أن يبين عقيدته الصافية، ومنهجه القويم، والرسول ﷺ يقول: (ذودوا عن أعراضكم بالمال)، والرسول ﷺ يقول (إنها صفية).

واستدل العلماء بهذا الحديث: على أن طالب العلم والعالم ينبغي لهم أن يردوا الإشاعات التي تشاع عنهم؛ لأن الطعن في حملة الدين طعن في الشريعة، والتحذير من العالم تحذير فيما يحمل، والإمام الطبراني، لما ذكروا عنه بعض المعتقدات الفاسدة ألف مؤلفًا سماه صريح السنة يبين فيه ما يسير عليه، ويدعو على من اتهمه بالتهم الباطلة.

فصفاء طالب العلم وصفاء العالم من أسباب قبول دعوته، ولا تدع للمتكلمين مجالًا وللطاعنين مجال، فإن كنت وقعت في الزلل والخطل فتب إلى الله ﷻ واستغفره: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة:١٦٠]، وبين ما كنت عليه، وبين الحق الذي تدعو إليه بأدلته وبراهينه، أما أن تجعل المتكلمين يتكلمون، ومن أراد أن يطعن يطعن، وأنت ساكت فهذا يضر الدعوة، ويضر الداعي، وقد تكلمت على أهمية رد الإشاعات في كتاب "الوسائل الجليلة لنصرة الدعوة السلفية"

هذا وقد ختمنا هذا الدرس ليومنا هذا الثاني من ربيع الثاني لعام (١٤٣١هـ) في وادي سوف من بلاد الجزائر.

ونعتبر بهذا الختام، قد انتهينا من الدروس العلمية الدعوية التي فتحت في هذه البلدة. فنسأل الله ﷻ القبول والسداد والتوفيق والرشاد والحمد لله.

وكان الانتهاء من تصحيحها يوم الأربعاء ١١ شوال ١٤٣٣هـ

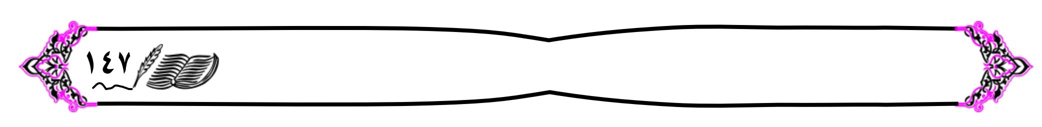
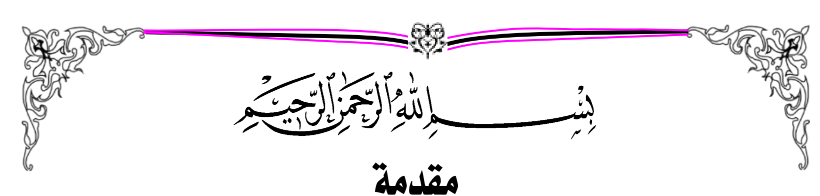
في مكتبـــتي في دماج، والحـــمد لله رب العـــالمين

ثم في يوم ١٢/ من ذي الحجة / ١٤٣٣هـ





تأليف:
أبي محمد عبد الحميد الحجوري الزعكري

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي منّ علينا فأفضل، وأعطانا فأجزل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذا شرح مختصر على اللّامية المنسوبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وقلنا (منسوبة) لأن بعض أهل العلم يشكك في ثبوتها إليه إليه، مع أن ما فيها موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة شيخ الإسلام.

وشيخ الإسلام - مناقبه مشهورة - وهو الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) رحمه الله ترجمته مستوفاه في كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) لمؤلفه الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ).

تنبيهان:

۞ وقع شيء من الاختصار في تدريسي لهذه المنظومة؛ والسبب في ذلك أنها توافقت مع درسي لحائية ابن أبي داود، والمواضيع متقاربة، فما كان من نقص يُستدارك من الشرح المشار إليه، ولعلي عند الطبع أجمع بينهما إن شاء الله تعالى.

ﷺ عدَّلت فيها ما يحتاج إلىٰ تعديل حال كتابتها مع إضافات يسيرة، وأسميتها: "التعليقات الحسان علىٰ اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام" .

والحمد لله رب العالمين.

عبدالحميد بن يحيى الحجوري الزُّعكري

متن لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيْدَتِي ... رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلهِدَايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ... لَا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلٌ ... لَكِنَّمَا الصِّدِّيْقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وَأَقُوْلُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ... آيَاتُهُ فَهْوَ الكَرِيْمُ المُنْزَلُ

وَأَقُوْلُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَالمُصْطَفَى الهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

وَجَمِيْعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

وَأَرُدُّ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَا ... وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ ... وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ... وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

وَأُقِرُّ بِالمِيْزَانِ وَالحَوْضِ الَّذِيْ ... أَرْجُو بِأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ ... فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ يُهْمَلُ

وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ... وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ ... وَأَبِي حَنِيْفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُم فَمُوَفَّقٌ ... وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

تعريف المذهب والعقيدة وأقسام الهداية

قال رَحِمَهُ اللهُ:

يَـا سَـائِلِي عَـنْ مَـذْهَبِي وَعَقِيْـدَتِي   رُزِقَ الهُـدَى مَـنْ لِلهِدَايَـةِ يَسْـأَلُ

قوله: (**يا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي**) كأنه رَحِمَهُ اللهُ أجاب بهذا المنظومة عن سؤال وُجِّه إليه، وكم من الكتب التي صُنِّفت على هذا الأساس، صُنفت وأُلِّفت بسبب سؤال وُجِّه إلى عالم من العلماء وإمام من الأئمة كـ"التدمرية"، و"الواسطية"، و"الحموية"، و"التبوذكية"، وكذلك "صحيح الإمام مسلم"، و"السياسة الشرعية"، و"جامع بيان العلم وفضله"، و"أصول السنة" لابن أبي زمنين.

والسؤال هو أحد وسائل طلب العلم، والتفقه في الدين، يقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣].

والمراد (بالمذهب) هنا الطريقة التي يسير عليها، لا المذاهب الأربعة المعروفة، لأن التمذهب بها ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، وإنما يدل الدليل على إتباع الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الأعراف:٣]، ولو قلنا (بلزوم التمذهب بأحد المذاهب الأربعة) كما قال بعضهم، للزم أن يكون أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والتابعين على غير هدى؛ لأنهم لم يتمذهبوا بها زد على ذلك أن الدين كان ناقصًا فأتمه هؤلاء، وهذه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم! حاشاهم عن ذلك، بل أصحاب المذاهب كلهم محتاجون للعودة إلى الكتاب والسنة، وقد صرحوا بذلك في كثير من المواطن.

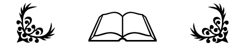
ومن اعتقد مذهبًا واحدًا وأنه لا يجوز له الخروج عنه -حتىٰ وإن خالف الدليل- فهذا ضلال عظيم والعياذ بالله تعالىٰ،لكن يقول أنا حنفي، أنا حنبلي، أنا شافعي، أنا مالكي، وأين وجدت الحق والدليل أخذت به، فهذا أهون، من الذي يخالف الدليل ويكون تمذهبه اسميا فقط مع أن الأولىٰ له الانتساب إلىٰ السنة، والإسلام؛ والإمام أحمد ومالك والشافعي وكل الأئمة رُوي عنهم (إذا صح الحديث فهو مذهبي) والإمام أحمد يقول: (عجبت لمن عرف الإسناد وصحته ثم يذهب إلىٰ قول سفيان).

قوله: (**رُزِقَ الهُدىٰ مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَل**) أي: نال الهدىٰ من طلبه بعد توفيق الله، أو كأنه دعا له وقال رزقك الله الهدىٰ، ومن أسباب سلوك سبل الهداية، السؤال، والبحث عن العلم، والبحث عن العقيدة الصحيحة والصراط المستقيم، والطريق القويم.

والهداية تنقسم إلىٰ قسمين:

الأول: هداية توفيق وهذه خاصة بالله تعالىٰ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[القصص:٥٦].

الثاني: هداية الدلالة والإرشاد وهذه عامة قال تعالىٰ في شأن نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورىٰ:٥٢].



تنبيهه السائل في استماع ما يلقى عليه والاستفادة منه

قال رَحِمَهُ اللهُ:

اسْــــمَعْ كَلَامَ مُحَقِّـــقٍ فِي قَـــوْلِهِ   لَا يَنْثَـــنِي عَنْـــهُ وَلَا يَتَبَـــدَّلُ

قولهُ: (اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَـولـه) أي اسمع وافهم ما يقوله رجل محقق مدقق، يعرف ما يقول، ويعرف ما يعتقد، والذي تكون أقواله وأفعاله صادرة عن علم ودراية وبينة، أخذًا لمنهج السلف الصالح، وبعدًا عن منهج المخالفين المنحرفين الطاعنين في منهج السلف القائلين: (مذهب السلف أسلم، ومذهبنا أعلم وأحكم!) يا سبحان الله! طريقة الجهم بن صفوان والجعد بن درهم، وابن كلاب، وواصل بن عطاء، وطرق أصحاب علم الكلام أعلم وأحكم؟! حاشا وكلا، وهل تكون السلامة إلا بالعلم والحكمة، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦].

الْعِلْــمُ قَــالَ اللهُ قَــالَ رَسُــولُهُ   قَالَ الصَّـحَابَةُ لَـيْسَ خُلْـفٌ فِيـهِ

هذا هو العلم النافع الذي أمر الله بطلبه، والذي أُمرنا بالتزود منه، والذي أُمِرْنا بحفظه، -كما في حائية ابن أبي داود-:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَـالِ وَقَـوْلَهُمْ   فَقَوْلُ رَسُـولِ اللهِ أَزْكَـىٰ وَأَشْرَحُ

وهؤلاء يقولون: مذهب السلف أسلم؛ من حيث عدم الخوض والتنقيب والتكلف، ومذهب الخلف أعلم وأحكم لأنهم خاضوا ونقبوا، بل (منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم)، (قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ

كفّوا) كما قال عمر بن عبد العزيز يعني: أنهم حين توقفوا عن الخوض والتنقيب كان توقفهم ذلك عن علم ودراية، والتوقف عن الخوض في علم الكلام ببصر نافذ، لعلمهم أن علم الكتاب والسنة هو المأمور بأخذه والسير عليه.

قولهُ: (**لا يَنْـثَني عَنـهُ ولا يَتبَـدَّل**) فيه بيان أن الذي يثبت علىٰ ما هو عليه، من الحق علىٰ ثقة وعلم، لا تنطلي عليه الشبه، والأهواء، والأقيسة الباطلة، ولهذا قال الإمام مالك لما جاءه بعضهم، قال: ناظرني، قال: (إن غلبتني؟) قال: اتبعتني، قال: (إن غلبتك؟) قال: اتبعتك، قال: (اذهب إلىٰ شاك مثلك فإني علىٰ ثبات من أمري)، ويقول عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل)، وكان السلف ينهون، وينؤن عن مناظرة أهل البدع لما فيها من الشبه وفساد.

حب الصحابة وحب آل البيت من عقيدة أهل السنة

قال ﷺ:

حُـبُّ الصَّـحَابَةِ كُلِّهِـمْ لِي مَـذْهَبٌ   وَمَـوَدَّةُ القُـرْبَى بِهَـا أَتَوَسَّـلُ

قوله: (**حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ**)، أي أن طريقتي ومذهبي حب صحابة رسول الله ﷺ.

واعتقاد محبتهم وفضلهم من طريقة أهل السنة والجماعة، لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ففي البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) عن البراء قال النبي ﷺ: «**الأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ الله**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ المُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ المُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصَارِ**» أخرجه البخاري (٣٧٨٤).

وفي حديث أبي سعيد عند مسلم (٧٧): «**لَا يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ**»، وقال: «**اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا** - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - **وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ المُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ المُؤْمِنِينَ**». هكذا يقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي مسلم (٧٨) عن علي رضي الله عنه أنه قَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ؛ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ.، وأخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥١٤) من حديث أبي سعيد قال: كان بين خالد بن

الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء؛ فسبه، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وأمر الله بحبهم، وبالدعاء لهم، فقال سبحانه وتعالىٰ بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]، فالمؤمن التقي لا يَغِلّ، ولا يبغض الصحابة؛ لأنهم خيرة الخلق: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ**». هكذا يقول ابن مسعود عند أحمد (٣٦٠٠).

والصحابة أثنىٰ الله عليهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[الفتح:٢٩].

وبهذه الآية استدل الإمام مالك: أن الذي يبغض أصحاب النبي ﷺ ليس له في الفيء شيء وأنه كافر، فمن عقيدة أهل السنة: حب الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة يتفاضلون فأفضلهم علىٰ الإجمال أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من آمن قبل الفتح قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ

أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[الحديد:١٠].

وكذلك المهاجرون في الجملة أفضل من الأنصار، ومن أفراد الأنصار من هو أفضل من بعض أفراد المهاجرين، والعشرة المبشرون بالجنة كلهم من المهاجرين، وقد بُشّر بالجنة أيضًا: ثابت بن قيس من الأنصار، وسعد بن معاذ من الأنصار، واالغميصاء من الأنصار.. وغير ذلك.

والناس في الصحابة طرفان ووسط:

أما الطرف الأول: فهم الرافضة، والخوارج الذين يكفرونهم ويسبونهم ويتنقصونهم.

والطرف الأخر: قوم يقولون: هم رجال ونحن رجال.

وطائفة ترفعهم فوق منزلتهم فيدعونهم ويذبحون لهم وهم القبورية من الصوفية وغيرهم.

والوسط: هم أهل السنة والجماعة، الذين عرفوا لهم قدرهم ومنزلتهم، واستغفروا لهم وكفوا عما شجر بينهم.

وفي آل البيت نفس التنوع:

قوم غلوا فيهم وهم الرافضة، والباطنية، وقوم وقعوا فيهم وهم النواصب، وقوم يحبونهم الحب الشرعي: وهم أهل السنة والجماعة.

والكلام في فضائل الصحابة يطول: **أولًا:** لمحبتنا لهم، **ثانيًا:** لجمال سيرتهم، **ثالثًا:** للاستفادة مما كان يحصل منهم من حسن الاتباع، وحسن الاعتقاد، والمبادرة

والمسابقة إلى الخيرات والتضحيات التي بذلوها من أجل دين الله الحق، فمن تنقصهم فهو الناقص، ومن سبهم فهو المسبوب، ومن لعنهم فهو الملعون.

قوله: (**وَمَوَدَّةُ القُرْبىٰ بِها أَتَوَسَّـــل**) أي وأتقرب إلى الله تعالى بمحبة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصالحين، وأراد شيخ الإسلام بهذا البيان أن يبين مذهبه الحق في هذا الباب، كما أنه يحب الصحابة كذلك يحب آل البيت الصالحين، وهذا ردٌ على الروافض؛ لأن الروافض عندهم (لا ولاء) إلا ببراء، لا يصلح أن تحب علي إلا بالبراءة من أبي بكر وعمر، وإذا أحببت أبا بكر وعمر، فأنت متبرئ من علي، مقدمة فاسدة ونتيجة أفسد، بل يجوز ويجب أن نحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

والتوسل المشروع يكون بثلاثة أمور:

التوسل بدعاء الرجل الصالح: يدل عليه حديث عثمان بن حنيف عند الترمذي (٣٥٧٨): أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ البَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**» . قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ**» والحديث في "الصحيح المسند" للشيخ مقبل رحمه الله.

ويكون **التوسل بالأعمال الصالحة**: كما في حديث أصحاب الغار الثلاثة: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَرَجَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ**

كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لاَ تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ مِنْ ذُرَةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا فَكُشِفَ عَنْهُمْ» متفق عليه.

والتوسل بحب الصالحين:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَهْ

وَأَكْرَهُ مَنْ بِضَاعَتُهُ المَعَاصِي ... وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَهْ

ومنها التوسل بأسماء الله وصفاته: قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠].

وأما التوسل بذوات الصالحين كأن يقول اللهم إني أسألك بحق نبيك فهذا توسل مبتدع.

فإن اقترن به دعاؤهم والذبح لهم فهو شرك أكبر مخرج من الملة كما يفعله غلاة الصوفية والباطنية والرافضة.

فضل أبي بكر الصديق

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلٌ لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

قوله: (**وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وفَضَائِلٌ**) يقول رَحِمَهُ اللهُ لكل الصحابة رضوان الله عليهم قدر، ومنزلة، وفضل رفيع، فشرف الصحبة لا يعدله شرف، ومن أراد النظر إلى ما عليه القوم من الفضل والخير فلينظر في الكتب المؤلفة في الباب، مثل: "فضائل الصحابة" للإمام أحمد، وكتب الفضائل في صحيحي البخاري ومسلم، وكتب المسانيد والمعاجم.

قوله: (**لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَـل**) هذا الذي قرره عليه إجماع صالحي الأمة: على أن الصديق وهو أبوبكر عبدُالله بنُ عثمانَ ابنُ أبي قحافة، أفضل الصحابة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ. أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

وعمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا سأل رسول الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا. أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

وفي البخاري (٣٦٧١) عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ، ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ.

فاعتقاد أهل السنة وطريقتهم وسيرهم: أن أفضل الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وترتيبهم في الخلافة على ترتيبهم في الفضل، ومن زعم أن علي أحق من عثمان بالخلافة فهو أضل من حمار أهله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية، زد على ذلك أنه أزرى بالمهاجرين والأنصار، وخالف إجماعهم.

والخلاف الذي كان بين أهل السنة في القِدَم، هو من حيث تفضيل علي على عثمان لا من حيث أن عليًا أحق بالخلافة، وقد اندثر ذلك المذهب، وأجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم.

وفضائل الصديق رضي الله عنه أكثر من أن تُحصر وأشهر من أن تُذكر وقد تقدم ذكر بعضها في شرح الحائية وبالله التوفيق.



القرآن كلام الله غير مخلوق

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَقُـوْلُ فِي القُـرْآنِ مَـا جَـاءَتْ بِـهِ ... آيَاتُـهُ فَهْـوَ الكَـرِيْمُ المُـنْزَلُ

قولهُ: (وَأَقُولُ فِي القُرآنِ ما جاءَتْ بِـه آياتُـهُ) أي أعتقد في القرآن ما جاءت به آياته من أنه كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله تكلم الله تعالى به حقيقة بحرف وصوت وأنه غير مخلوق كما تقول الجهمية والمعتزلة ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر فالقرآن صفة الله تعالى وصفات الله تعالى غير مخلوقة ومما يدل على ما تقدم قول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٦].

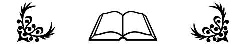
وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الفتح:١٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾[الإنسان:٢٣]، وقال: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[السجدة:٢]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[الزمر:١]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الواقعة:٨٠].

إلى غير ذلك من الأدلة من كلام ربنا وكلام نبينا ﷺ، وعلى هذا إجماع السلف.

قولهُ: (فَهُوَ الكريمُ) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾[الواقعة:٧٧]، أي عظيم المنافع كثير الخير غزير العلم فيه من البركات ما يعجز المتكلم عن ذكره.

ومن كرمه كثرت أسمائه فمنها القرآن والفرقان والضياء والنور والهدىٰ والشفاء والرحمة والموعظة وهو الكتاب المبين والذكر الحكيم وغير ذلك علىٰ ما بينته في غيرما موطن وبالله التوفيق.



وجوب الإيمان بما جاء في الشرع بدون تأويل

قال رحمه الله:

وَأَقُــوْلُ قَــالَ اللهُ جَــلَّ جَــلَالُهُ وَالمُصْــطَفَى الهَــادِي وَلَا أَتَــأَوَّلُ

قوله: (**وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جلَّ جَلالهُ، والمُصْطَفَىٰ الهَادِي**) يقول أيضًا من طريقتي في الاعتقاد أن أقول ما قاله الله تعالىٰ وما قاله رسوله ﷺ وهذا هو الواجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة أن يقول ما قاله الله تعالىٰ، وما قاله رسول الله ﷺ، وأن يعتقد ما اعتقده رسول الله ﷺ، وما اعتقده الصحابة الكرام، قال الله ﷻ: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا** ﴾[النساء:٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾[لأنفال:٢٤].

قوله: (**وَلاَ أَتَأَوَّلُ**) تأوّل أهل الضلال، وهو في الحقيقة تحريف للأدلة، إما لفظًا أو معنًىٰ، أو معنًىٰ فقط.

والتأويل الفاسد بسببه حصل الفساد العظيم، فما وقعت الحروب، وما قتل عثمان، وما موقعة صفين، وما موقعة الجمل إلا بسبب التأويل الفاسد، فالتأويل شره عظيم، وهو التحريف، وإنما سموه تأويلًا من أجل لبس الحق بالباطل علىٰ المساكين الذين لا يفقهون. وقد نهىٰ الله ﷻ عن ذلك، فقال: ﴿**يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[آل عمران:٧١].

فأهل البدع ما يسمون باطلهم باطلًا وبما ينفر منه الناس، بل يسمونه بأسماء منمّقة، انظر إلىٰ الأصول الخمسة للمعتزلة: (العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين).

فأما العدل: فيريدون به نفي القدر، وهو أن الله لم يخلق الشر، وأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم، فهو تعطيل الله عن صفة الخلق، مع أن الله ﷻ يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر:٦٢].

والتوحيد عندهم: نفي الصفات: بمعنىٰ أن الله لا يسمع ولا يبصر، ولا يتكلم ولا يريد ولا يشاء ولا ينزل، وليس له يدان، ولا هو في العلو، ولا استوىٰ علىٰ العرش، مع أن الله ﷻ يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١].

وإنفاذ الوعيد عندهم: أنهم يُوجبون علىٰ الله أن يعذب من وقع في المعصية إنفاذًا لوعيده فيهم، مع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم: هو الخروج علىٰ الحكام المسلمين، مع ما ورد من الأدلة في تحريم ذلك.

والمنزلة بين المنزلتين: بيانها أن صاحب المعصية في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة مخلد في النار.

فلا تغتر بالمظاهر، والعبارات المخالفة للشرع، إنما الواجب علينا هو التمسكك بالأدلة من الكتاب والسنة.

والتأويل يأتي بعدة معاني:

الأول: الحقيقة والمآل، قال الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾[الأعراف:٥٣] أي حقيقته ومآله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف:٥٣]، وقال الله مخبرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾[يوسف:١٠٠] أي: هذا حقيقة الرؤيا التي رأيتها قبل سنين، وأيضًا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران:٧] أي: لا يعلم حقيقة هذا المعاد، وحقيقة الصفات وكيفيتها إلا الله، وأهل السنة والعلماء يعرفون معناها، أما الكيفية أمرها إلى الله هو الذي يعلمها.

ويأتي التأويل بمعنى التفسير، ولهذا يقول ابن جرير الطبري: (وتأويل هذه الآية كذا وكذا) أي: تفسيرها، ومنه: تأويل الرؤيا أي: تفسيرها.

ويأتي التأويل بمعنى صرف المعنى الراجح إلى معنى مرجوح بقرينة، وهذا هو التأويل عند الأصوليين، فإن لم تكن ثمّة قرينة فهو تأويل باطل، فيقولون - مثلًا - : (يد الله) نعمة الله، (ووجه الله) ذات الله أو الإحسان، (ونزول الله) نزول أمره، وهذا تأويل باطل وصرف للألفاظ عن ظواهرها إلى معانٍ باطلة لم يدل عليها الكتاب والسنة، فالواجب عليك: أن تقول قال الله، قال رسوله، ولا تتأول تأوّل المبطلين، وتحريفهم بل صن الأدلة عن تخرصات القوم وضلالهم الذي أدى إلى أعظم الحرام وهو القول على الله بغير علم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣].

وجوب السير في آيات الصفات على فهم السلف

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَمِيْــعُ آيَــاتِ الصِّــفَاتِ أُمِرُّهَــا حَقًّــا كَمَــا نَقَــلَ الطِّــرَازُ الأَوَّلُ

أي: أسير في آيات الصفات علىٰ منهج أهل السنة والجماعة، وعلىٰ معتقد الذين نقلوها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وفي هذه الشطر من البيت رد علىٰ الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات ويعطلون الأكثر مع ما في صنيعهم من التناقض فإن القول في بعض الصفات كالقول في البعض، وقد جاءت أدلة الكتاب والسنة بإثبات صفات الباري والله ﷻ متصف بالكمال المقدس من كل وجه.

قولهُ: (حقًّا): أي علىٰ حقيقتها لا مجازها كما يقول المبتدعة.

قولهُ: (الطراز الأول): المراد بهم الصحابة ومن سار علىٰ سيرهم من التابعين لهم بإحسان.

وليس في هذا القول بالتفويض، كما استدل بعض أهل الضلال بقول السلف: (أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف). ففي العبارة إثبات المعنىٰ، فلو لم يثبت المعنىٰ لما قال: (بلا كيف) فتنبه!

وفيه: أن الإجماع حجة في هذا الباب كغيره، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبدالبر في "جامع بيان العلم وفضله"، والبيهقي في "الأسماء والصفات"، وأشار إليه ابن تيمية في "التدمرية" وغيرها.



قبول خبر الثقات العدول في باب الأسماء والصفات

قال رحمه الله:

وَأَرُدُّ عُهْـــــدَتَهَا إِلَى نُقَّالِهَـــــا   وَأَصُـــونُهَا عَـــنْ كُلِّ مَـــا يُتَخَيَّـــلُ

يعني: أرد تبعات إثبات هذه الصفات إلى الذين نقلوها لنا وهم أعرف بمراد الله ﷻ ومراد رسوله ﷺ فنثبت ألفاظها ومعانيها اللائقة بالله ﷻ، وتصان عن التمثيل والتشبيه، وعن التكييف، فالإمام مالك بن أنس لما سأله بعض المبتدعة عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥] كيف استوى؟ قال له: (الاستواء معلوم، -والاستواء هو العلو والارتفاع، والصعود والاستقرار-، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، -الإيمان بما أخبر الله به وبما أخبر به رسول الله ﷺ واجب-، قال: (والسؤال عنه بدعة، قم عني)، أي السؤال عن كيفية الصفة بدعة لأن الصحابة ما كانوا يسألون عنها والقاعدة عند أهل السنة أن المثبت للصفات يجب أن يتخلى من محظورين الأول التكييف والثاني التمثيل، والمنزه يجب عليه أن يتخلى من محظورين: التحريف والتعطيل.

خطر الإعراض عن الأدلة والأخذ بالآراء

قال رحمه الله:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ [القُرَانَ][1] وَرَاءَهُ   وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

هذا تقبيح لمن يترك كتاب الله عز وجل، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت:٤٢]، ثم يعتمد على أقوال من لا يعتد بقوله، وكل من لم يأخذ بكلام الله عز وجل وكلا رسوله ﷺ لا بد أن يأخذ ما يخالفه وهذا من تناقض المعتزلة وتناقض أهل البدع، إذا قلنا: قال الله، قال رسول الله ﷺ، قالوا: إذا كان متواترا، الظاهر غير مراد، وإذا كان آحادا، قالوا: هذه أحاديث آحاد، والآحاد لا تؤخذ بها العقائد، سبحان الله! أحاديث رسول الله ﷺ التي تناقلها الأئمة الأعلام، والحفاظ الكرام، لا تؤخذ بها العقائد، وبيت الأخطل النصراني تؤخذ به العقائد.

قال ابن القيم:

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ قَوْلٌ قَالَهُ   فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي

يعني أنهم: يستدلون على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء بقول الأخطل النصراني، وهم في هذا الصنيع قد شابهوا اليهود.

قال ابن القيم:

نُونُ الْيَهُودِ وَلَامُ جَهْمِيٍّ هُمَا   فِي شَرْعِ دِينِ اللهِ زَائِدَتَانِ

---

(١) وفي نسخة (الكتاب).

اليهود قيل لهم: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾[البقرة:٥٨]، قالوا: حنطة. حبة في شعيرة، والجهمية والمعتزلة قال الله لهم: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، قالوا: استولى، زادوا (لام) ما الدليل؟ قالوا:

قَدِ اسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَىٰ الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ

وقالوا: الاستواء المراد به الاستيلاء.

مع أن البيت قد وجد في نسخة:

بِشْرٌ قَدِ اسْتَوْلَىٰ عَلَىٰ الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ

حتىٰ وإن صحت نسبة البيت إلىٰ الأخطل، فهذا الرجل زائغ لا يحتج بأبياته، وقوله مردود عليه؛ لأن الله ﷻ أعلم بنفسه وبغيره، قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥]، والاستواء معلوم عند أهل السنة علىٰ ما تقدم.

ولفظ: (استوىٰ) إذا عُدي بنفسه، يراد به الكمال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[القصص:١٤] أي: كَمُلَ.

وإذا عُدي بالواو، المراد به المساواة: استوىٰ الماء والخشبة، وإذا عُدّي بـ(علىٰ) المراد به العلو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥]، ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[الزخرف:١٣] أي: تعلو.

صفة العلو

تنبيه: صفة الاستواء من الصفات الفعلية، وأدلة الاستواء تدل على علو الله ﷻ على عرشه.

وعلو الله تعالى على خلقه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، وقد تنوعت دلالة القرآن والسنة على إثبات هذه الصفة لله سبحانه وتعالى، فتارة تأتي بلفظ الفوقية قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل: ٥٠]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الأنعام:١٨].

وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١): «**لَـمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**».

وتارة يأتي بلفظ العلو قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى:١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

وجاء من حديث حذيفة عند مسلم (٧٧٢): أنه صلى مع رسول الله ﷺ فسمعه يقول في سجوده: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**».

وتارة يأتي بلفظ الاستواء قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، في عدة سور من القرآن، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤].

وتارة يأتي بلفظ في السماء قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك:١٦] الآيتين، أي على السماء فإن أحرف الجر تتناوب، قال تعالى عن فرعون:

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١]، أي على جذوع النخل، وقال تعالى: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾[الملك:١٥]، والمراد بفي في إجماع العقلاء على إذا لا يعقل أن يمشي في باطن الأرض.

وقال رسول الله ﷺ كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه عند البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤): «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!**».

وجاء من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه عند الإمام مسلم (٥٧٣): أن رسول الله ﷺ سأل الجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قالت: في السماء، قال: «**مَنْ أَنَا؟**» قالت: رسول الله، قال: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، فمن زعم أن الله تعالى بذاته في كل مكان فقد كفر.

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال رحمه الله:

وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ ....

رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، والمؤمنون يرون الله عز وجل يوم القيامة، في المحشر، والجنة.

وقد اختلف الناس في رؤية الله في أرض المحشر هل هي للمؤمنين خاصة، أم للمؤمنين وجميع أهل الموقف؟

فذهب طائفة من أهل العلم من أهل السنة إلىٰ أن الرؤية عامة للمؤمنين وغيرهم في الموقف وهذا هو القول الصحيح وتدل عليه عموم أدلة اللقاء علىٰ ما بينته في كتابي الجامع الصحيح في الرؤية والحمد لله.

وذهب طائفة إلىٰ أن الرؤية خاصة بالمؤمنين ومن كان ظاهره الإيمان في الدنيا كالمنافقين.

وذهب بعضهم إلىٰ أن الرؤية خاصة بالمؤمنين، وكلها أقوال أهل السنة لا يُبدّع المخالف فيها.

ولكن يبدع من أنكر الرؤية.

والأدلة علىٰ إثبات الرؤية كثيرة:

منها قوله تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٣]، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق:٣٥]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟

ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]، والزيادة فسرها النبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، ففي حديث صهيب عند مسلم (١٨١) عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل**»، وَزَادَ - في رواية - ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]. والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، وبهذا الحديث وغيره استدل أهل السنة على أن الله عز وجل يرى في العلو خلافًا للأشاعرة الذين يقولون: (يرى لا في جهة) وهذا غاية التناقض فإن المرئي لابد أن يُرى في العلو أو السُفل والله منزّه عن السُفل.

وفي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣]، لما عُدِّي النظر بـ(إلى) دلّ على النظر الحقيقي، وقوله ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**» أخرجه النسائي (١٣٠٥) عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (١٣٠١).

إثبات نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا

.... وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْـفٍ يَـنْزِلُ

قوله: (وإلىٰ السَّمـاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) أي: يؤمنون بأن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، صح هذا عن جمع من الصحابة منها في "الصحيحين" حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) ولفظه: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**يَنْزِل رَبّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثلث اللَّيْلِ الْآخِر، يَقول: مَنْ يَدْعونِي فَأَسْتَجِيبَ لَه، مَنْ يَسْأَلنِي فَأعْطِيَه، مَنْ يَسْتَغْفِرنِي فَأَغْفِرَ لَه**». ومن حديث أبي سعيد أخرجه مسلم (٧٥٨، ١٧٢)، وصفة النزول إلىٰ السماء الدنيا ثابتة لله عز وجل وهي من الصفات الفعلية؛ لأن تعلقها بمشيئة الله عز وجل.

قوله: (بَغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) نؤمن بأن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، كما أخبر الله به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بعيدًا عن التكييف والتمثيل، وبعيدًا عن التحريف والتعطيل.

وهذا البيت فيه ردٌ علىٰ ابن بطوطة، إذ زعم أنه قدم دمشق، وشيخ الإسلام يخطب، وقال: إن الله ينزل من علىٰ عرشه كما أنزل من علىٰ منبري هذا. فهو دخل دمشق وابن تيمية في السجن، فابن تيمية يقول: (وإلىٰ السَّمـاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ) نؤمن بالنزول، والنزول معروف، فنؤمن أن الله ينزل ولا نكيف ولا نمثل.

ومسألة يخلو منه العرش أو لا يخلو منه العرش بحركة وانتقال أو بغير حركة وانتقال، هذه لوازم لا يستطرد لها، بل نقول: ينزل ونؤمن بذلك ونتوقف مع الأدلة.

وأيضًا لا نقول: ينزل بذاته، نقول: ينزل، كما قال رسول الله ﷺ مع اعتقادنا وإيماننا أن الله سبحانه وتعالىٰ ينزل حقيقة، وليس المراد نزول أمره ولا نزول رحمته، ولا نزول ملك من ملائكته كما يقول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم فإنه يقول في الحديث من يستغفرني ولا يغفر الذنوب إلا الله تعالىٰ.

إثبات الحوض والميزان

قال رحمه الله:

وَأُقِــرُّ بِــالمِيْزَانِ وَالحَــوْضِ الَّذِيْ أَرْجُــو بِــأَنِّي مِنْــهُ رِيًّــا أَنْهَــلُ

من عقيدة أهل السنة الإيمان بالحوض والميزان والصراط، وغير ذلك مما هو داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:٣].

ويدل على إثبات الميزان قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**» أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

وله كفتان وهي التي توضع فيها الأعمال والدليل حديث عبدالله بن عمرو عند "الترمذي" (٢٦٣٩): قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ**

عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

وللميزان لسان وهو ما يمسك به الميزان.

ويوزن العامل، والدليل على ذلك حديث ابن مسعود ﵁ إنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَـهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» أخرجه أحمد (٣٩٩١).

ويوزن العمل، والدليل حديث أبي هريرة ﵁ السابق.

وتوزن الصحف، والدليل حديث عبدالله بن عمرو ﵄ السابق.

ويدل على إثبات الحوض قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

وفي حديث أنس ﵁ عند مسلم (٤٠٠) قال رسول الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷿، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ؛ فَيُخْتَلَجُ العَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**».

وأحاديث الحوض متواترة، قد جمعت منها في مؤلف قريبًا من الثمانين حديثًا، ففي البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩) من حديث جندب ﵁: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**».

وفيهما البخاري (٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**».

ولهما البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ؛ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»، هذا بعض من كل وقليل من كثير.

وحوض النبي ﷺ موجود الآن؛ ففي "الصحيحين" البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١) عن أبي هريرة ﵁: «**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**».

ويُطرد عن الحوض نوعان من أهل الملة المبتدعة، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة ﵁ عند مسلم (٢٤٩): «**أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا**».

وجاء بنحوه من حديث حذيفة عند مسلم (٢٤٨).

ويطرد كذلك قومٌ من العصاة؛ ففي مسند أحمد (٣/ ٣٢١) من حديث جابر ﵁ في قصة كعب بن عجرة، قال رسول الله ﷺ: «**أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**» قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي؛ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي**».

وقوله﵀: (أنهل) أي أشرب صبا.

إثبات الصراط

قال رحمه الله:

وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ   فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ يُهْمَلُ

نؤمن أيضًا بالصراط، وأنه جسر على متن جنهم، أحد من السيف وأدق من الشعرة، دحض مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسك مثل شوك السعدان، وهي مأمورة بقبض من أُمِرت به: «**فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَرْدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**» كما في الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه.

والصراط ينقسم إلى صراط حسي وصراط معنوي، والصراط المعنوي: هو الكتاب والسنة، من سار على الكتاب والسنة في الدنيا، نجا وصار على الصراط الحسي في الآخرة. ومرور الناس على الصراط مذكور في مسلم(١٩٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ "، قَالَ: " فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا "، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا

ويكون الناس: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[إبراهيم:٤٨] في الظلمة دون الجسر، كما قال النبي ﷺ، أخرجه مسلم عن ثوبان وعائشة رضي الله عنهما. والأنبياء يومئذٍ على الصراط يقولون: اللهم سلم سلم.

واختلفوا فيمن يصعد الصراط، والراجح: أنه لا يجوزه إلا المؤمنون، وأما الكافرون فإنهم يساقون إلى نار جنهم يتقادعون فيها تقادع الفراش، والمنافقون يصعدون على الصراط ثم تنطفئ الأنوار التي معهم ويتساقطون في النار كما في الآيات التي في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[الحديد:١٣-١٤].

الجنة والنار موجودتان لحكمة

قال رحمه الله:

وَالنَّـــارُ يَصْـــلَاهَا الشَّـــقِيُّ بِحِكْمَـــةٍ وَكَـــذَا التَّـــقِيُّ إِلَى الجِنَـــانِ سَـــيَدْخُلُ

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾[الليل:١٥]، فالنار يصلاها الشقي بحكمة الله، خلقه الله لحكمة، خلقه لعبادته، فوقع فيما وقع فيه فاستحق ما هو فيه، قال الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾[غافر:٤٦] الآية، قال الله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ۝٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾[الغاشية:١-٧]، والآيات كثيرة في النار، وعذاب النار حق في الكتاب والسنة.

والنار والجنة موجودتان الآن، والجنة في السماء السابعة، والنار في الأرض السفلى، كما في حديث البراء بن عازب في سياق قصة القبر، فمن عقيدة أهل السنة: الإيمان بوجود الجنة والنار الآن، والمعتزلة قالوا: وجودهما عبث الآن، بينما القرآن والسنة يدلان على أن الجنة والنار موجودتان، وأنهما لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، وأن أهل الإيمان في الجنة يخلدون وأهل الكفر في النار يخلدون فيها أبدًا.

قوله: (**وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ**) قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ۝٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ۝٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾[النبأ: ٣١ - ٣٦]. والآيات معروفة في هذا الباب.

وجوب الإيمان بنعيم القبر وعذابه

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

قال: ونؤمن بالحياة البرزخية للمكلفين قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فنؤمن بعذاب القبر ونعيمه، وأن عذاب القبر للكافرين ولمن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يعذبهم من عصاة المؤمنين، وأن القبر فيه عذاب ونعيم، وسؤال وضمة، فالضمة لا ينجو منها أحد إلا الأنبياء علىٰ الصحيح، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، فَلَوْ نَجَا أَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنْهَا لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ**» صححه الألباني في "الصحيحة" (١٦٩٥).

وفي القبر مسألة والمعبر عنها بالفتنة وهي شاملة لكل أحد من الناس إلا الأنبياء والشهداء والمرابطين والصديقين، أما الأنبياء فيسأل عنهم، ولا يسألون هم لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند أحمد (٦/ ١٣٩): «**فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ**»، وأما الشهداء؛ ففي النسائي (٢٠٥٥) من حديث رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَفَي بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رُءُوسِهِمْ فِتْنَةً**».

وأما المرابطون؛ ففي مسلم (١٩١٣) عن سلمان: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ من فَتَّانَ القبر**».

وأما الصديقون فكونهم أفضل من الشهداء والله أعلم، والصديق أفضل من المرابط، وأفضل من الشهيد.

والعذاب قد ينقطع في حق المؤمنين كانقطاعه عنهم في الآخرة، وأما في حق الكافرين فإنه دائم، ولهذا يقول الكافر حين يوضع في القبر حين يأتيه من حر النار وسمومها يقول: «**يَا رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ**»، والمؤمن إذا رأى الجنة ونعيمها يقول: «**رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ**».

قال رحمه الله: (**عَمَلٌ يُقارِنُـهُ هنـاك وَيُسْـأَلُ**) يسأل عن أعماله، ويسأل عما قدم، نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِذَا وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرٍ يَبْكِي حَتَّىٰ يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) وحسنه الألباني كما في "صحيح الجامع" (١٦٨٤). ولنا ذنوب كثيرة ومعاصٍ وسيئات، نسأل الله أن يتجاوز عنا.

وحياة البرزخ طويلة جدًا، والحياة الدنيا ما هي شيء عند البرزخ، قال الله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:١٠٠]، وقال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[الواقعة:٨٨-٩٦].

بيان عقيدة الأئمة الأربعة

قال رحمه الله:

هَـــذَا اعْتِقَـــادُ الشَّـــافِعِيِّ وَمَالِـــكٍ وَأَبِي حَنِيْفَـــةَ ثُـــمَّ أَحْمَـــدَ يُنْقَـــلُ

هؤلاء هم أئمة المذاهب الأربعة.

فالشافعي: هو أبوعبدالله محمد بن إدريس المطلبي القرشي رحمه الله، ينسب إليه المذهب الشافعي وهو لم يؤسس مذهبًا، ولم يدعُ إلىٰ مذهب، فإنه كان إمامًا في السنة في عهده وزمنه، وكان صاحب سنة بعيدا عن علم الكلام، حتىٰ قال في أهل الكلام: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام.

وقال المزني: أنقذني الله بالشافعي، فإنه لما قدم مصر فذهبت إليه، فناظرته قال: يا بني اطلب العلم، الذي إذا أخطأت فيه قالوا: أخطأت. وإياك والعلم الذي إذا أخطأت فيه قالوا: ضللت وتزندقت.

ومـالك: هو الإمام مالك بن أنس الأصبحي اليمني إمام دار الهجرة ومفتيها، صاحب الموطأ.

وأبوحنيفة: هو النعمان بن ثابت.

و أحمــد: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام أهل السنة، ابتلي بمنحة خلق القرآن فنجاه الله، فكان ممن حفظ الله بهم الدين، حتىٰ قال علي بن المديني رحمه الله: حفظ الله الدين بأبي بكر في الردة، وبأحمد في المحنة.

واعتقاد الشافعي ومالك وأحمد سواء، أما أبوحنيفة فله مخالفات رحمه الله، يخالف أهل السنة في باب الإيمان، والقرآن روي عنه أنه يقول: بخلق القرآن واستتيب ثلاث مرات، وعرض على السيف ثلاث مرات، كما هو مذكور في مصنف ابن أبي شيبة، وغيره بأسانيده الصحيحية، وكان صاحب رأي رحمه الله وتجاوز عنه. حتى قال الشافعي: (بنى مذهبه على مائة وعشرين حديثًا ثمانون منها ضعيفة، وأربعون صحيحة) فإذا كان أصل المذهب بني على الأحاديث الضعيفة، فما نتيجة ذلك!.

وسُمي أصحابه بالرائيين، وكان الحميدي رحمه الله يقول: لا أستحل ذكره في الحرم... إلى غير ذلك.

وأتباعه من أشد المتعصبة في المذاهب، وأبعد المذاهب الأربعة عن طريقة رسول الله ﷺ مذهب أبي حنيفة، وأقرب المذاهب، مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. ومذهب مالك والشافعي، وكل هؤلاء لم يدعوا إلى التمذهب لآرائهم وأفكارهم، بل يقولون: إذا صح الحديث فهو مذهبي، ومالك يقول: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، يعني النبي ﷺ. إلا أن مُتأخري المتذهبة وقع فيهم التأويل والتمشعر كما في أصحاب مالك، وفي أصحاب الشافعي، وبعض الحنابلة.

الخاتمة

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَــإِنِ اتَّبَعْــتَ سَبِيلَــهُم فَمُوَفَّــقٌ   وَإِنِ ابْتَـدَعْتَ فَمَـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ

أي: إن اتبعت سبيل القوم في الاتباع لسنة رسول الله ﷺ ولطريقة الصحابة رضوان الله عليهم، في العلم العمل، والتفقه في الدين، فإن هذا من أعظم المكاسب والمطالب، وهذا هو علامة التوفيق، والتسديد، وإن خالفت طريقهم بالبدعة فما عليك حزن ولا يبالى بك، لكن الواقع أننا بالنظر إلى القدر الكوني نتألم عليهم ونرحمهم، وبالنظر إلى القدر الشرعي نحذر منهم ومن باطلهم نصيحة للإسلام والمسلمين.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

ونكون في يومنا هذا الثلاثاء الأول من شهر ربيع الثاني من عام (١٤٣١هـ) قد انتهينا من التعليق على لامية شيخ الإسلام في وادي سوف من بلاد الجزائر، وهذا تعليق مختصر، وإلا فحق المنظومة أكثر من هذا.

نسأل الله لنا ولكم السداد والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

أولاً عون المعبود على حائية أبي بكر بن أبي داود

ثانيًا: التعليقات الحسان على اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام